حديث الشهر

سماحة الإمام الشيخ

محمد حسين آل كاشف الغطاء

مختار

من شعراء الأغاني

١٠

سماحة الإمام الشيخ
محمد حسين آل كاشف الغطاء

مختار من شعراء الأغاني

حديث الشهر -١٠-

ذي القعدة ١٣٦٩هـ
ايـــلول ١٩٥٠م

حديث الشهر

سلسلة كتب شهرية تقدم فى مطلع كل شهر كتاباً

صدر منها

١ـ مثلهن الأعلى خديجة أم المؤمنين	الشيخ عبدالله العلايلي
٢ـ أبو جعفر النقيب ـ طبعة ثانية ـ	الدكتور مصطفى جواد
٣ـ دعبل الخزاعي ـ طبعة ثانية ـ	الاستاذ جرجس كنعان
٤ـ الامام الصادق ملهم الكيمياء	الدكتور محمد يحيى الهاشمي
٥ـ سكينة بنت الحسين ـ طبعة ثانية ـ	الاستاذ توفيق الفكيكي
٦ـ رسالة الحقوق للامام زين العابدين	الاستاذ عبدالهادي المختار
٧ـ أم سلمة	الاستاذ محمد زكي بيضون
٨ـ المعجزة الخالدة	السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني
٩ـ الزهراء	السيد محمد جمال الهاشمي

هذا الكتاب

كتاب الاغاني موسوعة ضخمة تعتبر من مراجع تاريخنا العربي المهمة وهي رغم ما تخللها من الأشياء التي سيقت فيها على انها حقائق واقعة دونما روية او تدبر او تحقيق - مازالت من الموارد التي لابد ان يستقي منها الكثير من متتبعي التاريخ والادب .

وقد تعرض هذا الكتاب لبعض الشعراء الذين ورد ذكرهم في هذه الموسوعة فأختصر ترجماتهم منها اختصاراً يعطي القارىء فيه الصورة التي تعطيها تلك الموسوعة ولكنه بأسلوب متسلسل حديث . كما وانه اختار من شعره المختار مايعطي القارىء فيه صورة عن منزلته الشعرية ونواحي امتيازه فيه . وهذه ناحية مهمة في تقريب الافهام من تلك العصور المشرقة التي ما زلنا نستقي من موردها الصافي ، فأنه ليس من المتيسر على كل قاريء تناول تلك الموسوعات . وليس في وسع كل انسان الانصراف الى مطالعة تلك مع ماتتطلبه من الوقت العريض .

فالكتاب اذاً مجهود مشكور يضمن لقارئه خلال سويعات ما لا يأتي به ايام يصرفها بين صفحات الاصل .

« حديث الشهر »

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ② ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ③ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ④
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤
ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ⑥
صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ⑦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كان سماحة الوالد الامام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، في بدء العقد الثاني من ايام حياته مستوعبا جميع اوقاته في تحصيل العلوم من المبادىء العربية والفقه والاصول بل والرياضة من الحساب والهندسة والهيئة ، بل وتوسع حتى الى الحكمة والفلسفة في الايام التي لم تكن لهذه العلوم في النجف الاشرف شأن يعتد به . ولم يزل على ذلك يمتد ويتمادى ما امتدت ايامه يدرس ويدرس ، ويجمع ويؤلف : وكانت لوالده المرحوم مكتبة وحيدة ، وكان استحضر لها كتاب الاغاني من مصر ، حين لم يكن نسخة سواها في النجف . وكان سماحة الوالد للاستجمام وترويح النفس في ايام العطلة قد استقصاه بالمطالعة ، ووجد انه جم الفوائد ، وان فيه الكثير من الاخبار النافعة والشعر العالي . ولكن كل

ذلك مطمور بالاسانيد التي لا فائدة فيها والحكايات التافهة ونوادر الخلاعة والتكرار الممل لغضية واحدة . فرأى أن يحسن صنعاً للتاريخ والادب باختصاره وتنقيحه واستخلاص اللب منه ونبذ القشور . فاشتغل في اختصاره بضع سنوات وانجزه في اوائل العقد الثالث من عمره واسماه (المغني عن الاغاني) ويمكن قراءته في اربعة أو خمسة ايام وقد طلب حضرة الفاضل صاحب سلسلة حديث الشهر من سماحة الوالد ان يتحفهم ببعض آثاره وقد وقع الاختيار على هذه التراجم لبعض الشعراء .

وقد انتهج سماحته في الاختصار الامور التالية (١) حذف السند (٢) اختصار النسب (٣) ذكر الاخبار المهمة وحذف النوادر التافهة والماجنة (٤) انتخاب الجيد من نظم الشاعر (٥) ذكر ابيات قليلة من القصائد المشهورة (٦) انتقد على صاحب الاغاني في مناسبات عديدة بعض آراءه وناقشه (٧) تفنيد أو تأييد بعض الاخبار المذكورة في الكتاب .

والكتاب يسهل للقارىء مطالعة تراجم ليست في متناول يده ويود ان يقرأها باسلوب موجز جذاب وبلغة واضحة .

وقد بذلت جهدي لتصحيح نسخة البياض المنقولة عن النسخة الاصلية بخط سماحة الوالد . وآسف ان سماحته لكثرة اشغاله لم يتمكن من قراءة النسخة المصححة .

النجف الأشرف		عبدالحليم كاشف الغطاء

اخبار ابي الاسود الدؤلي *

رضوان الله عليه

(١)

اسمه ظالم بن عمر ، وينتهي نسبه الى الياس بن مضر بن نزار وهم اخوة قريش وهو من فقهاء التابعين ووجوههم ومحدثيهم ؛ روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب (ع) وابن عباس واستعمله عمر وعثمان وعلي (ع) وكان من وجوه شيعته ، وقيل انه ادرك اول الاسلام وشهد بدراً ، وماسمع بذلك من غير ابي عبيدة ، واستعمله علي (ع) على البصرة بعد ابن عباس ، وهو كان الاصل في بناء النحو وعقد اصوله وقصته مشهورة حيث سألته ابنته بالبصرة فقالت يا ابة ما اشد الحر برفع اشد فظن انها تسأله فقال : شهرا ناجر ؟ فقالت انما اخبرتك ولم اسألك ، فاتى الامير (ع) وقال له يا امير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم ، واوشك ان تطاول عليها ان تضمحل واخبره بخبر ابنته فدفع اليه درهماً وامره فاشترى صحفاً واملى عليه ان الكلام كله

* الترجمة في الجزء ١١

لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ، وهذا القول اول كتاب سيبويه ثم رسم اصول النحو كلها فنقلها النحويون وفرعوها ، وقال الجاحظ : ابو الاسود معدود في طبقات من الناس وهو في كلها مقدم مأثور عنه الفضل في جميعها كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والاشراف والفرسان والامراء والدهاة والنحويين والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والصلع الاشراف والبخر الاشراف ، ومما رواه عن علي عليه السلام انه قال في بول الجارية يغسل وفي بول الغلام ينضح ما لم يأكل الطعام ، وقيل انه كان كاتبا لابن عباس على البصرة ثم تولاها لما عزل ، ومن نوادره في البخل انه جلس يوماً في دهليزه وبين يـديه رطب فجاءه اعرابي فقال : السلام عليك . فقال ابو الاسود : كلمة مقولة قال ادخل ، قال : وراؤك اوسع لك ، قال : ان الرمضاء قد احرقت رجلي قال : بل عليها او ائت الجبل يفيء عليك قال : هل عندك شيء تطعمنيه ؟ قال نأكل ونطعم العيال فان فضل شيء فـانت احق به من الكلب ، قال الاعرابي : ما رأيت الأم منك ، قال قد رأيتك ولكن قد انسيت ثم

رمى اليه بثلاث رطبات فوقعت احداهن في التراب فاخذها يمسحها بثوبه فقال له ابو الاسود : دعها فان الذي تمسحها منه انظف من الذي تمسحها به فقال : كرهت ان ادعها للشيطان فقال لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعها .

ومن طرائفه ما عن المدائني قال زعم ابو بكر الهذلي ان ابا الاسود كان يحدث معاوية يوما فضرط فقال لمعاوية استرها علي فقال نعم فلما خرج حدث بها عمرو بن العاص ومروان فلما غـدا عليه ابو الاسود قال عمرو : ما فعلت ضرطتك يا ابا الاسود قال : ذهبت كما تذهب الريح مقبلة ومدبرة من شيخ ألان الدهر اعصابه ولحمه عن امساكها وكل اجوف ضروط ثم اقبل على معاوية فقال : ان امرءاً ضعفت امانته ومروته عن كتمان ضرطة لحقيق بان لايؤمن على امور المسلمين .

ثم ان ابا الفرج ذكر جملة وافية من شعره ولكنه ليس بتلك القوة والمتانة ونحن نذكر ما ننتخبه من اشعاره ، وجميع ما اورده من شعره انما كان في وقايع خاصة ولكنه لا يخلو اكثره عن حكم واداب ، ونحن نذكر نبذة

من ذلك قوله :

واهوج ملحاح تصاممت قبله
الى سمعه وما يسمعي من باس
ولو شئت قد اعرضت حتى اصيبه
على انفه حدباء تعضل بالاسي
فان لساني ليس اهون وقعة
واصغر آثاراً من النحت بالفاس
وذي إحنة لم يبدها غير انه
كذي الخبل تأبى نفسه غير وسواس
وعندي له ان فار فوار صدره
فما حنظلي لا يعادده الحاسي
وخب لحوم الناس اكثر زاده
كثير الخنا صعب المحالة هماس
تركت له لحمي وابقيت لحمه
لمن نابه من حاضري الجن والناس
فكر قليلا ثم صد كأنما
يعض بصم من صدى جبل راسي

وهذه الابيات اكثرها في غاية التعقيد وكذا اكثر شعره، وليته حين اخذ النحو عن امير المؤمنين (ع) اخذ منه علم المعاني والبيان حتى يفصح في بيان ما يريد .

وخطب امرأة وستر امرها الى صديق له فاخبر ابن عمها فتزوجها قبله . فقال ؟

لعمري لقد افشيت يوما فخانني
الى بعض من لم اخش سراً ممنعا
فمزقه مزق العمى وهو غافل
ونادى بما اخفيت منه فاسمعا
فقلت ولم افحش لعلك عاثر
وقد يعثر الساعي اذا كان مسرعا
ولست بجاريك الملامة انني
ارى العفو ادنى للرشاد واوسعا
ولكن تعلم انه عهد بيننا
فبن غير مذموم ولكن مودعا
حديثاً اضعناه كلانا فلا ارى
وانت نجيا آخر الدهر اجمعا

وكنت اذا ضيعت سرك لم تجد
سواك له الا اشت واضيعا

وقال فيه :

امنت امرأ في السر لم يك حازما
ولكنه في النصح غير مريب
اذاع به في الناس حتى كأنه
بعلياء نار اوقدت بثقوب
وكنت متى لم ترع سرك تلتبس
قوارعه من مخطيء ومصيب
فما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه
ولا كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن اذا مااستجمعا عند واحد
فحق له من طاعة بنصيب

وتخاصم صديق له مع خصمه فقضى على صديقه فقال له : والله ما بارك الله في صداقتك ولا نفعني بعلمك وفقهك فقال له من ابيات :

ولا تدعني للجور واصبر على التي
بها كنت اقضي للبعيد على ابي

فاني امرؤ اخشى الـمهي واتقي

معادي وقد جربت مالم تجرب

وعزم على سفر فقالت له ابنته : يا أبة هـــذا صميم الشتاء فانتظر حتى ينصرم ويسلك الطريق فاني اخشى عليك فقال ابو الاسود :

اذا كنت معنياً بامر تريده فما للمضاء والتوكل من مثل
ولا تحسبن السير اقرب للردى من الخفض في دار المقامة والثمل
وكم قد رأينا حاذراً متحفظاً اصيب والفته المنية في الاهل

ومن شعره :

وبلوت اخبار الرجال وفعلهم فملئت علماً منهم وتجاربا
فاخذت منهم مارضيت باخذه وتركت عمداً ما هناك خائبا
فاذا وعدت الوعد كنت كغارم
ديناً اقر به واحضر كاتبا
حتى انفذه على ما قلته وكفى علي به لنفسي طالبا
واذا فعلت فعلت غير محاسب وكفى بربك جازيا ومحاسبا
واذا منعت منعت منعاً بيناً وارحت من طول العناء الراغبا
لا اشتري الحمد القليل بقاؤه يوماً بذم الدهر اجمع واصبا

ومنه :

أريت امرءاً كنت لم ابله ... أتاني فقال اتخذني خليلا
فخاللته ثم أكرمته ... فلم أستفد من لدنه فتيلا
والفيته حين جربته ... كذوب الحديث سروقا بخيلا
فذكرته ثم عاتبته ... عتاباً رقيقا وقولا جميلا
فالفيته غير مستعتب ... ولا ذاكر الله الا قليلا
الست حقيقا بتوديعه ... واتباع ذلك صرماطويلا

وقال في زياد وكان يبغي عليه

نبئت ان زياداً ظل يشتمني ... والقول يكتب عند الله والعمل
وقد لقيت زياداً ثم قلت له ... وقبل ذلك ماخبت؟ به الرسل
حتام تسرقني في كل مجمعة ... عرضي وانت اذا ماشئت منتقل
كل امرئ صائر يوما لشيمته ... في كل منزلة يبلى به الرجل

وقال ـ وقد رحل الى صديق له استعمله ابن زياد على جي واصبهان فلما نزل به لم يجد عنده ماقدره ففارقه وقال :

تروحت من رستاق جي عشية ... وخلفت في رستاق جي اخالكا
اخالك ان طال التنائي وجدته ... نسياً وان طال التعاشر ملكا

ولو كنت سيفا يعجب الناس حده
وكنت له يوما من الدهر فلـكا
ولو كنت اهدى الناس ثم صحبته
وطاوعته ضل الهدى واضلـكا
اذا جئته تبغي الهدى خالف الهدى
وان جزت عن باب الغواية دلـكا

وكان ابن عباس عند ولايته على البصرة يكرمه ويقضي حوائجه فلما ولي ابن عامر جفاه وابعده لما كان يعلم من هواه في أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال ابو الاسود :

ذكرت ابن عباس بباب بن عامر
وما مر من عيشي ذكرت وما فضل
اميرين كانا صاحبي كلاهما فكل جزاه الله عني بما فعل
فان كان شرا كان شراً جزاؤه
وان كان خيراً كان خيراً بما عدل

وقال فيه أيضا :

واني لتثنيني عن الشتم والخنا
وعن سب ذي القربى خلائق اربع

حياء واسلام ولطف وانني كريم ومثلي قد يضر وينفع
فان اعف يوما عن ذنوب أتيتها فان العصا كانت لمثلي تقرع
وشتان مابيني وبينك انني على كل حال استقيم وتظلع

ومن مستجاد شعره قوله :

بليت بصاحب ان ادن شبراً يزدني في تباعده ذراعا
وان امدد له في الوصل ذرعي يزدني فوق قيس الذرع باعا
أبت نفسي له الا اتباعا وتأبى نفسه الا امتناعا
كلانا جاهد ادنو وينأى فذلك ما استطعت وما استطاعا

وكانت بنو قشير عثمانية وكانت امرأته منهم فكانوا يؤذونه وينالون من علي عليه السلام ليغيظوه فقال في ذلك .

يقول الارذلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى عليا
فقلت لهم وكيف يكون تركي من الاعمال مفروضا عليا ؟
بنو عم النبي واقربوه احب الناس كلهم اليا
فان يك حبه رشداً أصبه ولست بمخطيء ان كان غيا
هم اهل النصيحة غير شك واهل مودتي مادمت حيا
هوى اعطيته لما استدارت رحى الاسلام لم يعدل سويا
احبهم لحبه الله حتى اجيىء اذا بعثت على هويا

رأيت الله خالق كل شيء هداهم واجتبى منهم نبيا
ولم يخصص بها احداً سواهم هنيئا ما اصطفاه لهم مريا

فقيل له شككت يا أبا الاسود حيث تقول : فان يك حبهم رشداً اصبه فقال :

اما سمعتم قوله تعالى : «وانا واياكم لعلى هدى» الآية وله:

افنى الشباب الذي فارقت جدته كر الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركالى في طول اختلافها شيئا اخاف عليه لذعة الحرق
شنأت من الاصحاب من لست بارحا اداماه دمل السقاء الخرق

قال انى ابا الاسود الدولى وهو على البصرة ـ نعي امير المؤمنين عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام فقام على المنبر وخطب الناس فقال وان رجلا من اعداء الله المارقة عن دينه اغتال امير المؤمنين عليه السلام في مسجده وهو خارج لتهجده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله فيالله هو من قتيل واكرم به وبمقتله وروحه من روح عرجت الى الله تعالى بالبر والتقى والايمان والاحسان لقد اطفأ منه نور الله في ارضه لا يبين بعده ابداً وهدم ركنا من اركان الله لا يشاد مثله فانا لله وانا اليه راجعون وعند الله نحتسب

مصيبتنا بأمير المؤمنين عليه السلام ورحمه الله يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حيا ثم بكى حتى اختلفت اضالعه .

ثم قال : وقد اوصى بالامامه بعده الى ابن رسول الله (ص) وابنه وسليله وشبيهه في هديه وخلقه واني لارجو ان يجبر الله به ماوهى ويسد به ما انثلم ويجمع به الشمل ويطفىء به نيران الفتنه فبايعوه ترشدوا فبايعت الشيعة كلها وتوقف ناس ممن يرى رأي العثمانية وهربوا الى معاوية مع رسول دسه اليه يعلمه ان الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح ويدعوه الى اخذ البيعة له بالبصره ويعده ويمنيه .

فقال ابو الاسود :

الا أبلغ معاوية بن حرب   فلا قرت عيون الشامتينا
افي شهر الصيام فجعتمونا   بخير الناس طراً اجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا   وخيسها من ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها   ومن قرأ المثاني والمئينا
إذا استقبلت وجه ابي حسين   رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث حلت   بانك خيرها حسباً ودينا

وكان أبو الحرب بن ابي الأسود قد لزم منزل ابيه بالبصرة

لا ينتجع ارضاً ولا يطلب رزقاً فعاتبه ابوه على ذلك، فقال ابو حرب ان كان لي رزق فهو يأتيني فقال له :

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن الق دلوك في الدلاء
تجئك بملئها يوماً ويوماً تجئك بحمأة وقليل ماء

واعتذر لزياد فقال :

انى مجرم وانت احق الناس ان تقبل الغداة اعتذاري
فاعف عني فقد سفهت وانت المرء تعفو عن الهنات الكبار

وتوفي أبو الاسود في الطاعون الجارف سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة ، وقيل انه قبل ذلك وهو الذي اختاره ابو الفرج قال لانه لم يكن له في فتنه مسعود والمختار ذكر .

قيس بن ذريح ☆

- ٢ -

كان رضيع الحسين عليه السلام ابن علي بن ابي طالب عليه السلام لان ام قيس ارضعت الحسين عليه السلام ، وكان قومه في ظاهر المدينة وهو وابوه من حاضريها وكان يهوى لبنى بنت الحباب الكعبية وذلك انه مر بخيمة ابيها ليستقى

☆ الترجمة على الجزء ٨

فخرجت وكانت مديد القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام فلما
رآها وقعت في نفسه وانصرف وفي قلبـه منها حر لايطفى
وجعل ينطق بالشعر فيهـا حتى شاع وروي فشكا الى ابيه
واعلمه بحاله وسأله ان يزوجه بها فابى وقال له اختر من بنات
عمك فهن احق بك ، وكان (ذريح) كثير المال فاحب ألا
يخرج ابنه الى غريبة فانصرف وقد ساءه ذلك فاتى الحسين
عليه السلام وكلمه في ذلك فقال له عليه السلام انا اكفيك
ذلك ومضى الى أبي « لبنى » فاعظمه واعتذر اليه من قدومه
وقال ياسيدي يابن رسول الله الا بعثت الي فاتيتك ؟ فقال
ان الذي جئت فيه يوجب قصدك وقد جئت خاطباً ابنتك
لقيس فقال يابن رسول الله مالنا لنعصي لك امراً ولكن
نحب ان يخطبها ابوه ذريح فانا نخاف ان لم يسع ابوه في هذا
يكون سبة وعاراً علينا فمضى الحسين عليه السلام الى ابيه
فكلمه فاجاب ومضى الى ابي لبنى وخطبها منه فزوجهـا به
واقام معها مدة وكان براً بوالديه فالهته لبنى وعكوفه عليها
عن بعض ذلك فوجدت امه ولم تجد سبيلا للكلام وحرم
الولد منها فقالت لابيه لقد خشيت ان يموت قيس ولا ولد له

وانت ذو مال فيصير مالك الى الكلالة فزوجه بغيرها لعل الله ان يرزقها ولداً ، والحت عليه فمرضوا على قيس فابى وقال لا أسوءها والله بشيء أبداً فاقسم ابوه عليه الا ان يطلقها فابى وقال الموت اهون علي ولكن اخيرك بين خصال ثلاث قال وما هي : قال : تتزوج انت فلعل الله يرزقك ولداً غيري فقال : ما في فضلة لذلك قال فدعني ارتحل عنك باهلي واصنع ما كنت صانعاً لو مت. قال لا ، ولا هذه. قال فادع لبنى عندك وارتحل عنك لعلي اسلوها ، قال : لا ارضى او تطلقها ، وحلف لا يكنه سقف ابداً حتى يطلقها فكان يخرج ويقف بحر الشمس ويجيء قيس فيقف الى جانبه ويظله بردائه ويصلى هو حر الشمس حتى يفيء الفيء فينصرف الى لبنى ويعانقها ويبكي وتبكي معه وتقول له لا تفعل فانك تهلك واهلك فهجره ابواه عشر سنين الى ان طلقها وما فرغ من كلامه حتى استطار عقله ولحقه مثل الجنون وجعل يبكي وينشج احر نشيج وبلغها الخبر فارسلت الى ابيها ليحتملها فجاء بهودج وابل تحمل اثاثها فلما رأى قيس ذلك اقبل على جاريتها وقال ويحك ما الخبر فقالت لا تسلني وسل لبنى فذهب ليلم بخبائها

فمنعه قومها وقالت له امرأة ويحك اجاهل ام تتجاهل هذه لبنى ترحل الليلة او غد فسقط مغشياً عليه ثم افاق وهو يقول :

اني لمفن دمع عيني بالبكا حذار الذي قدكان او هو كائن
وقالوا غداً او بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت اخشى ان تكون منيتي
بكفيك الا ان ما حان حائن

فلما دخل قومها ولبنى معهم وقف ينظرهم ويبكي فلما غابوا عنه رجع يقبل موضع مجلسها واثر اقدامها فلامه قومه على تقبيل التراب فقال :

وما احببت ارضكم ولكن اقبل اثر من وطأ الترابا
لقد لاقيت من كلفي بلبنى بلاء ما اسيغ له شرابا

فلما جن عليه الليل آوى الى مضجعه فلم ياخذه قرار وجعل يتململ فيه تململ السليم فوثب الى موضع خبائها وجعل يتمرغ فيه ويبكي ويقول :

بت والهم يالبنى ضجيعي وجرت مذ نأيت عني دموعي
وتنفست اذ ذكرتك حتى زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي

اتناساك كي يريع فؤادي ثم يشتد عند ذاك ولوعي

وله اشعار كثيرة اغلبها يشتمل من الرقة على ما يقطع قلب الصخر ، ويحق لو بكت الخنساء به على قائلها وعلى صخر ، فمن مشجياته قوله :

إذا خدرت رجلي تذكرت من لها
فناديت لبنى باسمها ودعوت
دعوت التي لوان نفسي تطيعني
افارقها من حبها وقضيت
برت نبلها للصيد لبنى وريشت
وريشت اخرى مثلها وبريت
فلما رمتني اقصدتني بسهمها واخطأتها بالسهم حين رميت
وفارقت لبنى ضلة فكأنني قرنت الى العيوق ثم هويت
فياليت اني مت قبل فراقها وهل يرجعن فوت القضية ليت
فصرت وشيخي كالذي عثرت به
غداة الوغى بين العداة كميت
فقاومت لم تضرر هناك سوية وفارسها تحت السنابك ميت
فان يك تهيامي بلبنى غواية
فقد ياذريح بن الحباب غويت

فلا انت ما املت في رأيته ولا انا لبنى والحياة حويت

فوطن لهلكي مك نفسنا فانني
كانك بي قد (ياذريح) قضيت

ومنها :

ايا كبداً طارت صدوعاً نوافذاً
ويا حسرة ماذا تغلغل في القلب
فاقسم ما عمش العيون شوارف
دوائم لو حائمات على سقب
تشممنه لو استطعن ارتشفنه
اذا سقنه يرددن كرباعلى كرب
ياوجد مني يوم واست حمولها
وقد طلعت اولى الركاب من النقب
وكل ملمات الزمان وجدتها
سوى فرقة الاحباب هياءة الخطب

ومنها :

ويا حائمات حمن يوماً وليلة على الماء يغشين العصي حوان
عوافي لايصدرن عنه لوجهة
ولا هن من برد الحياض دوان

يرين حباب الماء والموت دونه
فهن لاصوات السقاة دواني

باجهد مني حر شوق ولوعة عليك ولكن العدو عداني
خليلي اني ميت أو مكلم لبيني بسري فامضيا وذراني

انل حاجتي وحدي ويارب حاجة
قضيت على هول وخوف جنان

فاني احق الناس ان لا تحاورا
وتطرحا من لو يشاء شفاني

ومن قادني للموت حتى اذا صفت
مشاربه السم الذعاف سقاني

ومنها :

يقولون لبنى فتنة كنت قبلها بخير فلا تندم عليها وطلق

فطاوعت اعدائي وعاصيت ناصحي
واقررت عين الشامت المتخلق

وددت وبيت الله اني عصيتهم
وحملت في رضوانها كل موبق

وكلفت خوض البحر والبحر زاخر
ابيت على اثباج موج مغرق
كأني ارى الناس المحبين بعدها
عصارة مـــاء الحنظل المتفلق
فتنكر عيني بعدهـا كل منظر
ويكره سمعي بعدها كل منطق

ومنها

تكنفني الوشاة فازعجوني ... فيـا لله للواشي المطـاع
فاصبحت الغداة الوم نفسي ... على شيء وليس بمستطـاع
كمغبون يعض على يديــه ... تبين غبنه بعد البيـاع
بدار مضيعة تركتك لبنى ... كذاك الحين يهدي المضاع
وقد عشنا نلذ العيش حيناً ... لو ان الدهـر للانسان راع
ولـكن الجميع الى افتراق ... واسباب الحتوف لها دواع

ومنها

يقر بعيني قربهـا ويزيدني ... بها كلفا من كان عندي يعيبها
وكم قائل قد قال تب فعصيته ... وتلك لعمري توبة لا اتوبها
فيا نفس صبراً لست والله فاعلمي
باول نفس غاب عنهـا حبيبها

ومرض مرضاً شديداً فسأل ابوه فتيات الحي ان يعدنه ويحدثنه لعله يتسلى أو يعلق بعضهن فقال :

عيد قيس من حب لبنى ولبنى
داء قيس والحب صعب شديد
واذا عادني العوائد يوماً قالت العين لا ارى من اريد
ليت لبني تعودني ثم اقضي انها لا تعود فيمن يعود

ودخل عليه الطبيب وقال له مذ كم وجدت بهذه المرأة ماوجدت ، فقال :

تعلق روحي روحها قبل خلقنا
ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد
فـزاد كما زدنا فاصبح نامياً
وليس اذا متنا بمنصرم العهد
ولكنه باق على كل حادث
وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

فقال الطبيب تذكر ما فيها من المساوىء والمعايب وما تعافه النفس من اقذار بني آدم فان النفس تسلو حينئذ وتنبو

ويخف ما بها فقال :

إذا عبتها شبهتها البدر طالعاً

وحسبك من عيب بها شبه البدر

لقد فضلت لبنى على الناس مثلما

على الف شهر فضلت ليلة القدر (١)

فلما سمع ابوه مقاله جعل يؤنبه ، ويقول الله الله في نفسك فانك ميت ان دمت على هذا فقال

وفي عروة العذري ان مت اسوة

وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند

وبي مثل ما ما نابه غير انني

الى اجل لم يأتني وقته بعد

وله

مضى زمن والناس يستشفعون بي

فهل لي الى لبنى الغداة شفيع

يقولون صب بالنساء موكل

وما ذاك من فعل الرجال بديع

(١) وقد تقدم ان هذا البيت لجميل وكأنه لاختلاف الروايات

ندمت على ما كان مني صبابة
كما ندم المغبون حين يبيع
فقدتك من نفس شعاع الم اكن
نهيتك عن هذا وانت جميع
قربت لي غير القريب واشرقت
هناك ثنايا مالهن طلوع
فلو لم يهجني الظاعنون لهاجنى
حمائم ورق في الديار وقوع
تداعين فاستبكين من كان ذا هوى
نوائح لم تقطر لهن دموع

ثم ان فزاريا من العرب احبه لما رأي من عقله وكماله وكانت له اخت في غاية الجمال والكمال فعرض عليه الصهر وكان قيس نازلا في بيت الفزاري فجعل يلح عليه كل يوم فابى وقال انا في شغل ولا ينتفع بى معه فلم يزل حتى اجابه وعقدها الفزاري له وبلغ ذلك الى ابيه فساق الاموال الجزيلة والمهر الخطير وسر بذلك فلما دخل عليها مادنا منها ولا هش اليها ولا نظرها بملء عينه واقام على ذلك مدة ثم دخل المدينة

فبلغه ان لبنى بلغها خبر زواجه فغمها وقالت انه لغدار ولقد كنت امتنع من الاجابة الى الزواج فالآن اجيب وقد كان ابوها شكا قيساً الى معاوية واعلمه بتعريضه لها بعد الطلاق فكتب الى مروان يهدر دمه ان تعرض لها ويأمر اباها بتزويجها فزوجها بخالد بن حلزة من بني غطفان وبلغ الخبر الى ابي قيس فعاتبه وتجهمه وقال له بلغ الامر بك الى ان يهدر السلطان دمك ، فقال :

فان يحجبوها او يحل دون وصلها
مقالة واش او وعيد امير
فلن يمنعوا عيني من دأم البكا
ولن يذهبوا ما قد اجن ضميري
وكنا جميعاً قبل ان يظهر الهوى بانعم حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لهم بطون الهوى مقلوبة لظهور
لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا
ولكنها الدنيا متاع غرور

ثم انه مرض حتى اشرف على الموت فدخل ابوه عليه وقومه فعاتبوه وناشدوه الله فقال ويحكم اتروني امرضت

نفسي واوجدت لها سلوة فاخترت الهم والبلاء هذا ما اختاره لي ابواي وقتلاني فجمل يبكي وقيس يقول :

لقد عذبتني يا حب لبنى فقع اما بموت او حياة

فان الموت اروح من حياة تدوم على التباعد والشتات

وقال الاقربون تعز عنها فقلت لهم اذا حانت وفاتي

ودست اليه لبنى رسولا يستنشد فلما رأى ما به قال فلم تزوجت بعدها حتى اجابت الى الزواج فحلف انه مامد يده اليها ولا كلمها ولو رآها ما عرفها فقال اني جار لها فحملني اليها ما شئت أؤده اليها فقال:

الا حي لبنى اليوم ان كنت غاديا

والمم بها من قبل ألا تلاقيا

وقل انني والراقصات الى منى

باجبل جمع ينتظرن المناديا

اصونك عن بعض الامور وانني

لاخشى عليك الكاشحين الاعاديا

وهي طويلة واحسن منها قوله :

تكاد بلاد الله يا ام معمر
بما رحبت يوما علي تضيق
تكلفني بالود لبنى وليتها
تكلف مني مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب ايقنت انني
لكم والهدايا المشعرات صديق
تتوق اليك النفس ثم اردها
حياء ومثلي بالحياء حقيق
اذود سوام النفس عنك وماله الى احد الا عليك طريق
وحدثتني يا قلب انك صابر على البين من لبنى فسوف تذوق
فمت كمداً اوعش سقيما فانما تكلفني ما لا اراك تطيق
شهدت على نفسي بانك غادة رداح وان الوجه منك عتيق
وانك لا تجزينني بمودة ولا انا للهجران منك مطيق
فان كنت لما تعلمي العلم فاسألي
فبعض لبعض في الفعال فووق
سلي هل قلاني من عشير صحبته
وهل مل رحلي في الرفاق رفيق

وهل تحتوي القوم الكرام صحابتي
اذا اغبر مخشي الفجاج عميق
واكتب اسرار الهوى فاميتها
اذا باح مزاح بهن بروق
سعى الدهر والواشون بيني وبينها
فقطع حبل الوصل وهو وثيق
هل الصبر الا ان اصد فلا ارى
بارضك الا ان يكون طريق
وقال :
اتبكي على لبنى وانت تركتها
وانت عليها بالملا انت اقدر
فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت   علي فللدنيا بطون واظهر
كأن لها ارجوحة بين احبل
اذا ذكرت منها على القلب تخطر
وقال :
اباثنة لبنى ولم تقطع المدى   بوصل ولا صرم فييأس طامع
نهاري نهار الوالهين صبابة   وليلي تنبو فيه عنه المضاجع

وقد كنت قبل اليوم خلواً وانما
تقسم بين المالكين المصارع
فلولا رجاء القلب ان تسعف النوى
لما حبسته بينهن الاضالع
له وجبات اثر لبنى كانها شقائق برق في السماء لوامع
هما برحابي معولين كلاهما
فؤاد وعين جفنها الدهر دامع

منها:

اتبكي على لبنى وانت تركتها
فكنت كآت حتفه وهو طائع
فيا قلب صبرا واعترافا بحبها
ويا حبها قع بالذي انت واقع
ويا قلب خبرني اذا شطت النوى
بلبنى وبانت عنك ما انت صانع
كأن بلاد الله مالم تكن بها
وان كان فيها الناس وحش بلاقع
ألا انما ابكي لما هو واقع ...
فهل جزعي من وشك ذلك نافع
وقد كنت أبكي والنوى مطمئنة بنا وبكم من علم البين صانع

واهجركم هجر البغيض وحبكم

على كبدي منه شؤون صوادع

واعمد للارض التي لا اريدها

لترجعني يوما اليك الرواجع

وليس لامرء حاول الله جمعه

مشت ولا مافرق الله جامع

ولا تبكين في اثر لبنى ندامة

وقد نزعتها من يديك النوازع

(وقال) :

ويوم منى اعرضت عني فلم اقل لحاجة نفسى عند لبني مقالها

في اليأس للنفس المريضة راحة اذا النفس رامت خطة لا تنالها

اذا طلعت شمس النهار فسلمي فآية تسليمي عليك طلوعها

بعشر تحيات اذا الشمس اشرقت

وعشر اذا اصفرت وحان رجوعها

وقال ابن عتيق له يوما انشدني آخر ماقلت في لبني فانشده قوله :

واني لاهوى النوم في غير حينه لعل لقاء في المنام يكون

تحدثني الاحلام انى اراكم فيالت احلام المنـام يقين
شهدت بأني لم أحل عن مودة وانى بكم لو تعلمين ضنين
وان فؤادي لا يلين الى هوى سواك وان قالوا بلى سيلين

واختلف الرواة في موت قيس فقيل مات قبلها فماتت اسفا عليه وقيل ماتت وخرج مع اهلها فوقف على قبرها وقال :

ماتت لبنى فموتها موتي هل تنفعن حسرتي على الفوت
وسوف ابكي بكاء مكتئب قضى حياة وجداً على ميت

ثم بكى حتى اغمي عليه وبقي ثلاثا ومات ، وقيل ان ابن عتيق صار الى الحسن والحسين عليهما السلام وعبدالله بن جعفر ومضى بهم الى زوج لبنى فلما رآهم اكبرهم واعظمهم فقالوا جئناك في حاجة لابن ابي عتيق فقال ياسادتي هي مقضية فقال ابن عتيق كائنة ما كانت فقال كائنة ما كانت فقال تهب لهم زوجتك لبنى وتطلقها وتشهدهم . فقال: اشهدوا انها طالق . فاعتذروا اليه وقالوا والله ماعرفنا ان هذه حاجته ولو عرفنا ما فعلنا ثم عوضه الحسن عليه السلام بمائة الف درهم وحملها ابن ابى عتيق الى قيس فتزوجها ولم يزالا معا حتى ماتا فقال قيس

يمدح ابن ابي عتيق :

جزى الرحمن افضل مايجازي
على الاحسان خيراً من صديق

فقد جربت اخواني جميعا
فما الفيت كابن ابي عتيق

سعى في جمع شملي بعد صدع
ورأي حدت فيه عن الطريق

واطفأ لوعة كانت بصدري اغصتني حرارتها بريقي

فقال ابن عتيق ياحبيبي امسك عن هذا المديح فما سمعه احد الا ظنني قوادا ، هذا مجمل حاله .

اخبار يزيد بن ربيعة بن مفرع الحميري *

(٣)

وانما لقب جده بالمفرغ لانه راهن على سقاء لبن يشربه كله فشربه حتى فرغ فلقب المفرغ وكان يزيد شاعرا غزلا محسنا والسيد من ولده (اقول اراد السيد الحميري) كما تقدم وله اشعار سارت مسير الامثال وقد تمثل الحسين صلوات

* الترجمة في جزء ١٧ .

الله وسلامه عليه ببيتين من شعره . روى ابو مخنف عن ابي سعيد المقبري قال : والله لقد رأيت حسينا عليه السلام وهو يمشي بين رجلين يعتمد على هذا مرة وهذا مرة حتى دخل المسجد وهو يقول :

لا ذعرت السوام في فلق الصبح مغيراً ولا دعيت يزيدا
يوم اعطى مخافة الموت ضيما والمنايا يرصدنني أن احيدا

فقلت عند ذلك انه لا يلبث الا قليلا حتى يخرج فما لبث ان خرج فلحق بمكة فلما خرج من المدينة قال فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه نحو مكة قال ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل والبيتان من قصيدة لابن مفرغ اولها .

حي ذا الزور وانهه ان يعودا ان بالباب حارسين قعودا
من اساوير ما كثات قياما وخلاخيل تذهل المولودا

واكثر المنشور والمشهور من اشعاره اهاجيه في بني زياد ابن ابيه وخاصة عباد وعبيد الله بن زياد لاسباب اسهب واطنب ابو الفرج في بيانها وذكرها على اختلاف

روايتها وتعدد طرقها فقد يروي الواقعة الواحدة مع طولها بصورة واحدة على اختلاف يسير مرتين بل ثلاث وحاصل كل ذلك ان عباد بن زياد لما ولاه معاوية خرسان وولى سعيد بن عثمان بن عفان على وجه آخر منها طالب كل منها صحبة ابن المفرع فامتنع على سعيد وصحب عباد فقال له سعيد اما اذا ابيت صحبتي وآثرت عباداً علي فاحفظ وصيتي ، ان عباد رجل لئيم واياك والدالة عليه وان دعاك اليها فانها خدعة لك واقلل زيارته فانه طرف ملول ولا تفاخره وان فاخرك فانه لا يحتمل لك ما كنت احتمله ثم دعى بمال وقال استعن على سفرك فان صح لك مكانك من عباد والا فمكانك عندي ممهد فأتني ثم سار سعيد الى خرسان وتخلف ابن المفرغ عنه وخرج مع عباد ونصحه بمثل ذلك اخوه عبيدالله وقال له امضي على الطائر الميمون فكان سفره ذلك اشر سفر فان عباد لما ورد خرسان اشتغل بحروبه وخراجه عن ابن المفرغ ولم يصله فلما استبطأه بسط لسانه بذمه وهجائه وكان عباد عظيم اللحية كأنها حوالق فسار ابن المفرغ مع عباد فدخلت الريح فنفشها فقال لرجل الى جنبه :

الا ليت اللحى كانت حشيشا فتعلفها خيول المسلمينا

فسعى الرجل به الى عباد فغضب غضباً شديداً فقال لا يجمل بي عقوبته على السرعه مع الصحبة لي وما اؤخرها الا لأشفي نفسي منه وبلغ ذلك ابن المفرغ فقال اني لاجد ريح الموت من عباد ثم دخل عليه وقال ايها الامير اني كنت مع سعيد بن عثمان وقد بلغك رأيه في وجميل اثره علي واني اخترتك عليه فلم احظ منك بطائــل واريد ان تأذن لي في الرجوع فلا حاجة لي في صحبتك فقال اما اختيارك اياي فاني اخترتك كما اخترتني واستصحبتك حين سألتني وقد اعجلتني عن بلوغ محبتي فيك وطلبت الان لترجع الى قومك فتفضحني فيهم فصار يتطلب عليه العلل ودس الى قوم كان لهم دين عليه فشكوا عليه فحبسه وضربه وبعث اليه ان بعني الا راكة وبردا وهما غلام وقينة لابن المفرغ رباهما وكان شديد الضن بهما فبعث اليه ابن المفرغ مع الرسول ايبيع المرء نفسه او ولده ولم يزل يجهده ويحرك عليه حتى باعهما من رجل خراساني وطفق ينوح عليهما في اشعاره وقال عباد لحاجبه ما ارى هذا -يعنى ابن المفرغ- يبالي بالمقام في الحبس فبع فرسه وسلاحه

واثاثه واقسم ثمنها بين غرمائه ففعل وبقيت عليه بقية ابقاه محبوساً بها فقال ابن المفرع يذكر غلامه وجاريته وبيعها :

شريت برداً ولو ملكت صفقته لما تطلبت في بيع له رشدا
لولا الدعي ولولا ماتعرض بي من الحودث ما فارقته ابدا
يابرد ما مسنا برد اضر بنا من قبل هذا ولا بعنا له ولدا
اما الاراك فكانت من محارمنا علينا لذيذاً وكانت جنة رغدا
كانت لنا جنة كنا نعيش بها
تغني بها ان خشينا الازل والنكد
ياليتني قبل ماناب الزمان به اهلي لقيت على عدوائه الاسدا
قد خاننا زمن لم نخش عسرته
من يأمن اليوم ام من ذا يعيش غدا
لامتني النفس في برد فقلت لها لا تهلكي اثر برد هكذا كمدا
كم من نعيم اصبنا من لذاذته قلنا له اذ تولى ليته خلدا

ومن اشعاره الشايعة في ذلك قوله :

اصرمت حبلك من امامه من بعد ايام برامه
فالريح تبكي شجوها والبرق يضحك في الغمامه
لهفي على الامر الذي كانت عواقبه ندامه

تركي سعيداً ذا الندى والبيت ترفعه الدعامه
فتحت سمرقند له وبنى بعرصتها خيامه
وتبعت عبد بني علاج تلك اشراط القيامه
وشربت برداً ليتني من بعد برد كنت هامه
هي هامة تدعو صدى بين المشقر واليمامه
فالهول يركبه الفتى حذر المخازي والسآمه
والعبد يقرع بالعصى والحر تكفيه الملامه

وعلم ابن المفرغ انه ان قام على ذم عباد وهجائه وهو في حبسه زاد نفسه شراً فكان يقول للناس اذا سألوه عن سبب حبسه : رجل أدبه أميره ليقوم من اوده او يكف من غربه وهذا لعمري خير من جر الامير ذيلة على مداهنة صاحبه فلما بلغ ذلك عباد رق له واخرجه من السجن فهرب حتى اتى البصرة ثم خرج منها خوف عبيدالله بن زياد وجعل يتنقل في مدنها هاربا ويهجو زياد وولده حتى تغنى اهل البصرة وغيرهم في اشعاره وقيل ان عبيد الله ظفر به وكتب الى يزيد بن معاوية يستأذنه في قتله فكتب اليه اياك وقتله ولكن عاقبه بما ينكله ويشد سلطانك ولا تبلغ نفسه فان له

عشيرة هي جندي وبطانتي ولا ترضى بقتله مني ولا تقنع الا بالقود منك فاحذر ذاك واعلم انه الجد مني ومنهم وانك مرتهن بنفسه ولك في دون تلفها مندوحة تشفي من الغيظ فلما ورده الكتاب امر بأن يسقى نبيذاً حلواً قد خلط معه الشبرم فاسهل بطنه وطيف به وهو في تلك الحال وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويقولون له بالفارسية (اين چه چيزاست) فيقول : « آب است ونبيذاست . وعصارات زبيب است . روى تو سپيداست » وجعل كلما يجر الخنزيرة ضجت فيقول :

ضجت سمية لما لزها قرني لا تجزعي ان شر الشيمة الجزع

وقيل ان الذي استخلصه من حبس عباد ان عشيرته اليمانية دخلوا على يزيد بن معاوية وخطب كل واحد منهم بكلام شديد فيه لين وتهديد فخاف أن يقع الشر منهم فسرح رجلا من حمير يقال له خمخام وقال انتزعه من الحبس قبل أن تخبر عباداً فيقتله وكتب الى عباد نفسك نفسك وان تسقط من ابن مفرغ شعرة لاقيدنك والله به ولا سلطان لك ولا لاخيك ولا لأحد غيري عليه . فجاء خمخام وانتزعه جهاراً من

الحبس وجاء به الى يزيد فلما دخل عليه قال له يا أمير المؤمنين اختر مني خصلة من ثلاث في كلها لي فرج اما ان تقيدني من ابن زياد واما ان تخلي بيني وبينه واما ان تقدمني وتضرب عنقي فقال له يزيد قبح الله ما اخترته وخيرتنيه ، اما القود من ابن زياد فما كنت لاقيدك من عامل ظلمته وشتمت عرضه وعرضي معه واما التخلية بينك فلا ، ولا كرامه ، ما كنت لاخلي بينك وبين أهلي تقطع أعراضهم ، وأما ضرب عنقك فما كنت لاضرب عنق مسلم من غير ان يستحق ذلك ولكن افعل ماهو خير لك مما اخترته لنفسك اعطيك دينك فانهم كانوا قد عرضوك للقتل واكفف عن ولد زياد وانزل أي البلاد شئت وامر له بعشرة آلاف درهم فخرج الى الموصل وذكر ابو الفرج من هذا النوع من اخباره شيئاً كثيراً وفي جملة منها تغاير وتدافع ففي بعض منها ان يزيد أخرجه من الحبس وفي رواية اخرى انه معاوية وفي ثالثة انه عباد وفي رابعه انه هرب من الحبس وهكذا الاختلاف في جهات اخرى ولا اهمية في الجميع . واشعاره في هجاء بني زياد كثيرة وقد جرى جملة منها مجرى الامثال مثل قوله :

الا ابلغ معاوية بن حرب مغلغلة من الرجل اليماني
اتغضب ان يقال ابوك عف وترضى ان يقال أبوك زاني
فاشهد ان رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان
واشهد انها ولدت زياداً وصخر من سمية غير دان

وقوله :

ان زياداً ونافعاً وابا بكرة عندي من اعجب العجب
ان رجالا ثلاثة خلقوا في رحم انثى وكلهم لاب
ذا قرشي كما يقول وذا مولى وهذا بزعمه عربي

وقوله :

شهدت بان امك لم تباشر ابا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمر فيه لبس على وجل شديد وارتياع

وقوله في عباد من ابيات :

ان عاما صرت فيه أميرا تملك الناس لعام عجاب

وقوله :

ابلغ لديك بني قحطان قاطبة عضت بـ.... أبيها سادة اليمن
اضحى دعي زياد نقعقرقرة ياللعجائب يلهو بابن ذي يزن

وقوله من قصيدة اولها :

الا طرقتنا آخر الليل زينب سلام عليكم هل لما فات مطلب
وقالت تجنبنا ولا تقربننا فكيف وانتم حاجتي أتقرب
قرنت بخنزير وهر وكلبة
زماناً وشان الجلد ضرب مشذب
وجرعتها صهباء من غير لذة تصعد في الجثمان ثم تصوب
واطعمت اكلا لا يحل لآكل وصليت شرقاً بيت مكة مغرب
من الطف مجلوباً الى أرض كابل
فلوا وما مل الاسير المعذب
فلوان لحمي اذ هوى لعبت به كرام الملوك اواسود واذؤب
لهون وجدي اولزادت بصيرتي ولكنما اودت بلحمي اكلب
اعباد ما اللوم عنك محول ولا لك ام في قريش ولا اب
وله أيضاً قصيدة طويلة بذكر ماجرى عليه اولها :
دارسلمى بالخبت ذي الاطلال كيف نوم الاسير في الاغلال
ومنها :
اين لا اين جنتي وسلاحي ومطايا سيرتها لارتحالي
هدم الدهر عرشنا فتداعى فبلينا وكل عرش بالي
اذ دعانا زواله فاجبنا كل دنيا ونعمة لزوال

ام قضينا حاجاتنا فالى المولى مصير الملوك والاقيال

ومنها :

قد تعديت في القصاص وادركت
ذحولا لمعشر اقيال

وكسرت السن الصحيحة مني لا تذلني اذلالي
وقرنتم مع الخنازير هراً ويميني مغلولة وشمالي
وكلاب ينهشنني من ورائي عجب الناس ما لهن ومالي
يغسل الماء ماصنعت وقولي راسخ منك في العظام البوالي

وكان زياد يدعي ان امه سمية من زيد بن تميم فقال ابن المفرغ :

فاقسم ما زياد من قريش ولا كانت سمية من تميم
ولكن نسل عبد من بغي عريق الاصل في النسب اللئيم

وقال عبيد الله بن زياد ماهجيت بشيء اشد علي من قول ابن المفرغ :

عاشت سمية ماتدري وقد عمرت
ان ابنها من قريش في الجماهير

وقال يهجوه ويرميه بالابنة :

أبلغ قريشاً قضها وقضيضها   اهل السماحة والحلوم الراجحة
اني ابتليت بحية ساورتهم   بيد لعمر لم تكن لي رابحة
شتان من بطحاء مكة داره   وبنو المضاف الى السباخ المالحة
فاذا امية صلصلت احسابها   فبنو زياد في الكلاب النابحة
قالو : بناك فقلت : في جوف استه
وبذاك خبرني الصدوق الفاضحة
لم يبق ... اسود أو أبيض   الا له استك في الخلاء مصافحة

وقال :

الا ابلغ عبيد الله عني   عبيد اللؤم عبد بني علاج
علي لكم قلائد باقيات   يثرن عليكم نقع العجاج

وله :

عبيد الله عبد بني علاج   كذاك نسبته وكذاك كانا
اعبد الحارث الكندي هلا   جعلت لاست امك ديدبانا
فتستر عورة كانت قديماً   وتمنع امك النبط البطانا

ولما هلك يزيد وغلب ابن الزبير على البصرة اجمع اهلها على قتل عبيدالله بن زياد وكان اميرها من يزيد فخرج هارباً وترك امه وعياله فقال ابن المفرغ :

أعبيد هلا كنت أول فارس | يوم الهياج دعى بحتفك داع
اسلمت امك والرماح تنوشها | ياليتني لك ليلة الافزاع
هلا عجوزك اذ تمد بثديها | وتصيح ان لا تنزعن قناعي
انقذت من ايد العلوج كأنها | ربداء مجفلة ببطن القاع
ليس الكريم بمن يخلف امه | وفتاته بالمنزل الجعجاع
حذر المنية والرماح تنوشه | لم يرم دون نسائه بكراع
متأبطاً سيفاً عليه ايلاق | مثل الحمار اثرته بيفاع
لاخير في هذر يهز لسانه | بكلامه والقلب غير شجاع
كم يا عبيدالله عندك من دم | يسعى ليدركه بقتلك ساعي
ومعاشر انف ابحت حريمهم | فرقتهم من بعد طول جماع
اذكر حسيناً وابن عروة هانياً | وبني عقيل فارس المرباع

ومن قصيدة اخرى :

افر عبيد والسيوف عن امه | دعته فولاها استه وهو يهرب
وقال عليك الصبر كوني سبية | كما كنت اوموتي فذلك اقرب
وقد هتفت هند بماذا امرتني | أبن لي وحدثني الى اين اذهب
فولى وماء العين يغسل وجهها | كأن لم يكن والدهر بالناس قلب
فصبراً عبيد بن العبيد فانما | يقاسي الامور المستعد المجرب

وذق كالذي قد ذاق منك معاشر

لعبت بهم اذ انت بالناس تلعب

ولما كان يوم الزاب حمل ابراهيم بن الاشتر على كتيبة فانهزموا ولقي عبيدالله فضربه وجاء الى اصحابه فقال اني ضربت رجلا فقددته نصفين فشرقت يداه وغربت رجلاه وفاح منه المسك واظنه ابن مرجانه فأومأ الى موضعه فجاؤوه فوجدوه كما ذكر فقال ابن المفرغ :

ان الذي عاش ختاراً بذمته وعاش عبداً قتيل الله بالزاب

العبد للعبد لا اصل ولا طرف الوت به ذات اظفار وانياب

ان المنايا اذا ما زرن طاغية هتكن عنه ستوراً بين ابواب

لا انت زاحمت عن ملك فتمنعه

ولا مددت الى قوم باسباب

ماشق جيب ولا ناحتك نائحة ولا بكتك جياد عند اسلاب

اقول بعدا وسحقاً عند مصرعه

لابن الخبيثة وابن الكودن الكابي

اقول وكل اشعاره في هجائهم محكم رصين منسجم وقد وجد مجال القول ذاسعة فيهم ووجد من خبث اعراقهم واؤم

اعراضهم اقوى مساعد على هجائهم وكان ابن المفرغ يهوى اناهيد بنت الاعنق وهو دهقان من الاهواز له ما بين الاهواز وسرق ومناذر والسوس وله فيها اشعار ووقايع كثيرة فمن قوله فيها وقد اخبر بأنها تبكي عليه ، وكان يسميها الجمانة :

سقى برق الجمانة فاستطارا ... لعل البرق ذاك يحور نارا
فلم املك دموع العين مني ... ولا النفس التي جاشت مرارا
فقلت لصاحبي عرج قليلا ... نذاكر شوقنا الدرس البوارا
بآية ماغدوا وهم جميع ... فكاد الصب ينتحر انتحارا
فقال بكوا لفقدك منذحين ... زمانا ثم ان الحي سارا
بدجلة فاستمر بهم سفين ... يشق صدورها اللجج الغمارا
كأن لم اغن بالعرصات منها ... ولم اذعر بقاعتها صوارا
ولم اسمع غناءاً من خليل ... وصوت مقرطق خلع العذارا

وقوله :

وقلت لها لما اتاني رسولها ... واي رسول لايضر وينفع
احبك مادامت بنجد وشيجة ... وما رفعت يوماً الى امه اصبع
واني ملي ياجمانـة بالهوى ... وصدق الهوى ان كان ذلك يقنع

ومات في ايام مصعب بن الزبير بالطاعون وكان عمه عمرو بن مفرغ قد استخلفه ابن عباس على البصرة اذ كان عامل امير المؤمنين «عليه السلام» وكان عمرو والياً على الاهواز من قبله وكان من ذوي الجاه والثروة والدين والصلاح وكان يعنف ابن اخيه في عشيقته الاهيد حتى اراه اياها يوماً وهو لايعرفها وهي في احسن زينتها فقال له عمه قبحك الله فهلا اذ فعلت مافعلت علقت مثل هذه فقال اجد منك هذا ؟ قال : نعم قال والله فانها هي هذه بعينها .

الكميت بن زيد

— ٤ —

وساق نسبه الى اسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار شاعر مقدم عالم بلغات العرب خبير بايامها من شعراء مضر والسنتها والمتعصبين على القحطانية المقارعين اشعرائهم العلماء بالمثالب والايام المفاخرين بها وكان في ايام بنى امية ولم يدرك الدولة العباسية وكان معروفاً بالتشيع

لبني هاشم مشهوراً بذلك وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره ولم تزل عصبيته للعدنانية ومهاجاته شعراء اليمن متصلة والمناقضة بينه وبينهم شايعة في حياته وبعد وفاته حتى ناقض دعبل وابن ابي عيينة قصيدته الذهبية بعد وفاته واجابها ابو الزلفاء البصري مولى بني هاشم عنها وكانت بينه وبين الطرماح خلطة ومودة وصفاء لم تكن بين اثنين. وانشد الكميت قول الطرماح :

اذا قبضت نفس الطرماح اخلقت

عرى المجد واسترخى عنان القصائد

قال اي والله وعنان الخطابة والرواية . وهذه الاحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة ، كان الكميت شيعياً عصبياً عدنانياً من شعراء مضر متعصباً لاهل الكوفة والطرماح خارجي صفري قحطاني متعصب لاهل الشام فقيل لهما ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الاهواء قالا اتفقنا على بغض العامة ، ثم ذكر ان الكميت لما هجى اليمن بقصيدته الذهبية التي اولها :

الا حييت عنا يا مدينا

وبلغت خالد بن عبدالله القسري وكان محسناً عليه فاحفظته وقال : فعلها والله لاقتلنه ثم اشترى ثلاثين جارية باغلى ثمن وتخـيرهن نهاية في الحسن والكمال والادب فرواهن الهاشميات ودسهن مع نخاس الى هشام بن عبدالملك فاشتراهن جميعاً فلما انس بهن استنشدهن الشعر فانشدنه قصائد الكميت الهاشميات فقال ويلكن من قائل هذا الشعر قلن الكميت ابن يزيد الاسدي من اهل الكوفة فكتب الى عامله على العراق خالد القسري ابعث الي برأس الكميت فاخذه وحبسه ولما كان من الغد أقرأ من حضره من مضر كتاب هشام واعتذر اليهم عن قتله وآذنهم في انقاذ الامر فيه في غد وقال لأبان بن الوليد البجلي وكان صديق الكميت انظر ماورد في صديقك فقال عز علي والله ثم بعث سراً بزوجته حبى بنت نكيف بن عبدالواحد وهي ممن يتشيع ايضاً وكتب معها اذا دخلت اليك تنقب نقابها والبس ثيابها واخرج فدخلت عليه والبسته ثيابها والبسته ازارها وخمرته بخمارها وقالت له اقبل وادبر ففعل فقالت ما انكر منك شيئاً الا يبساً في كتفك فاخرج على اسم الله واخرجت معه جارية

لما نخرج وعلى باب السجن ابو وضاح ومعه غلام وفتيان فقال بعضهم رجل ورب الكعبة فنهره ابو وضاح ولحق بالكميت فادخله منزله ولما طال الامر على السجان نادى فلم يجبه فدخل ليعرف خبره فصاحت به المرأة وراءك لا أم لك فشق ثوبه ومضى صارخاً الى باب خالد فاخبره الخبر فاحضر (حبى) فقال ياعدوة الله احتلت على امير المؤمنين واخرجت عدوه والله لا مثلن بك ولا فعلن فاجتمعت بنو اسد اليه وقالوا ما سبيلك على امرأة منا خدعها زوجها . نخافهم وخلى سبيلها وقيل انه حبسها وكتب العامل بخبرها الى هشام او خالد فأجاب حرة كريمة فدت ابن عمها بنفسها وأمر بتخليتها.

وقال كميت حين خرج من السجن :

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل

على الرغم من تلك النوابح والمسلي

علي ثياب الغانيات وتحتها عزيمة حر اشبهت سلة النصل

وبات الكميت في منزل أبي الوضاح وسقط غراب على الحائط فنعب فقال الكميت اني لمأخوذ وان حائطك لساقط فقال سبحان الله هذا لا يكون قال فحولني نخرج الى

بني علقمة وكانوا يتشيعون فأقام فيهم ولم يصبح حتى سقط الحائط وبقي متوارياً حتى أيقن أن الطالب قد خف عنه خرج ليلا في جماعة من بني أسد على خوف ووجل وأخذ الطريق على القطقطانة وكان عالماً بالنجوم مهتدياً بها فلما صار السحر صاح بنا هوموا يافتيان فهومنا وقام يصلي قال أبو المستهل فرأيت شخصاً فتضعضعت له فقال الكميت مابالك قلت أرى شيئاً مقبلا فنظر اليه فقال هذا ذئب جاء يستطعمكم فجاء الذئب فربض ناحيـة فأطعمناه ، ثم أهوينا باناء فيـه ماء فشرب وارتحلنا فجعل الذئب يعوي فقال الـكميت ويله ألم نطعمه ونسقيه وما اعرفني بما يريد هو يعلمنا اننا لسنا على الطريق تيامنوا يافتيان فتيامنا فسكن عواؤه فسار حتى دخل الشام واستجار بمسلمة بن هشام بخفارة عنبسة بن سعيد بن العاص ودخل مسلمة على ابيه وهو عند امه في غير وقت الدخول فقال هشام جئت لحاجة قال : نعم قال هي مقضية الا ان يكون الـكميت قال ما احب ان تستثني في حاجتي وما انا والـكميت فقالت لتقضين حاجته كائنة ما كانت قال قد قضيتها ولو احاطت بما بين قرطيها قال هي الـكميت وهو

آمن بأمان الله عزوجل واماني وقد قال فينا قولا لم يقل مثله قال قد امنته واجزت امانك له فاجلس له مجلساً ينشدك فيه ما قال فينا فعقد له مجلساً فلما حضر قال هشام ايه يا كميت أنت القائل :

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

فحمد الله وأثنى عليه وتكلم بخطبة ارتجلها ما سمع بمثلها قط فقال :

أما بعد ... فاني كنت اتدهدى في غمرة واعوم في بحر غواية خطلها واستفزني دهاها فتحيرت في الضلالة وتسكعت في الجهالة مهرعاً عن الحق جائراً عن القصد اقول الباطل ضلالا وافوه بالبهتان وبالا وهذا مقام العائذ مبصر الهدى ورافض العماية فاغسل عني يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة واصفح عن الزلة واعف عن الجرم ، وامتدحه بقصيدته الرائية ويقال انه قالها ارتجالا وأولها :

قف بالديار وقوف زائر

فمضى فيها حتى انتهى الى قوله :

ماذا عليك من الوقوف بها وانك غير صاغر
درجت عليها الغاديات الرائحات من الاعاصر

الى ان قال :

فالآن صرت الى امية والامور الى مصاير

فجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب في يده ويقول اسمع اسمع ثم قال :

كم قال قائلكم لعاً لك عند عثرته لعاثر
وغفرتم لذوي الذنوب من الاكابر والاصاغر
أبني أمية انكم أهل الوسائل والأوامر
ثقتي لكل ملمة وعشيرتي دون العشاير
أنتم معادن للخلافة كابراً من بعد كابر
بالتسعة المتتابعين خلائفاً وبخير عاشر
والى القيامة لا تزال لشافع منكم وواتر

ثم ترك الانشاد وعاد الى خطبته فقال : اغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته ومناط المنتجعين بحبله من لا تحل حبوته لاساءة المذنبين فضلا عن استشاطة غضبه لجهل الجاهلين ، فقال له ويلك يا كميت من زين لك الغواية ودلاك في العماية قال الذي اخرج ابانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد له عزما فقال ايه أنت القائل :

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها

فقال بل انا القائل :

الى آل بيت ابى مالك   مناخ هو الارحب الاسهل
تمت بأرحامنا الداخلات   من حيث لا ينكر المدخل
بمرة والنضر والمالكين   ورهط هم الانبل الانبل
وبارى خزيمة بدر السماء   والشمس مفتاح ما تأمل
وجدنا قريشاً قريش البطاح   على مابني الاول الاول
بهم صلح الناس بعد الفساد   وحيص عن القوم ماد عبلوا

قال له : وانت القائل :

لا كعبد المليك او كوليد   او سليمان بعد او كهشام
من يمت لا يمت فقيدا ومن   يحي فلا ذو إل ولا ذو ذمام

ويلك يا كميت جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة

فقال بل انا القائل :

فالآن صرت الى امية   والامور الى مصاير
والان صرت بها المصيب   كمهتد بالامس حائـــر
يابن العقايل للعقايــل   والجحاجحة الاخاير
من عبدشمس والاكابر   من امية فالاكابــر
ان الخلافة والالاف   برغم ذي حسد وواغر

دلف من الشرف التليد اليك بالرقد المتواتر
فحللت معتلج البطاح وحل غيرك بالظواهر

قال له ايه فانت القائل :

فقل لبني امية حيث حلوا وان خفت المهند والقطيعا
اجاع الله من اشبعتموه واشبع من بجوركم اجيعا
بمرضي السياسة هاشمي يكون حياً لامته ربيعا

فقال لا تثريب يا امير المؤمنين اذ رأيت ان تمحو عني قولي الكاذب . قال بماذا قال بقولي الصادق :

او رثته الحصان ام هشام حسبا ثاقبا ووجها منيرا
وكساه ابو الخلائق مروان سناء المكارم المأثورا

وكان هشام متكئاً فجلس وقال : هكذا فليكن الشعر قد رضيت عنك يا كميت فقبل يده وقال ان رأيت ان تزيد تشريفي ولا تجعل لخالد علي امارة قال قد فعلت و كتب له بذلك وامر له باربعين الف درهم وثلاثين ثوبا هشامية و كتب الى خالد ان يخلي سبيل امرأته ويعطيها عشرين الف درهم وثلاثين ثوبا.

وله مع خالد اخبار بعدقدومه الكوفة بالعهد الذي كتب

له. منها انه مر به خالد يوماً وقد تحدث الناس بعزله عن العراق فتمثل الكميت

اراها وان كانت تحب فانها سحابة صيف عن قريب تقشع

فسمعه خالد فرجع وقال مادام لا تنقشع حتى يغشاك منها شؤبوب برد ثم امر به فجرد فضربه مائة سوط ثم خلى عنه وكان هشام قد اتهم خالدا بانه يريد خلعه فوجد على بابه رقعة فيها ابيات منها :

تألق برق عندنا وتقابلت
اثاف لقدر الحرب اخشى اقتبالها

تلاف امور الناس قبل تفاقم بعقدة حزم لايخاف انحلالها

فما ابرم الاقوام يوماً لحيلة من الامر الا قلدوك احتيالها

وقد تخبر الحرب العوان بسرها وان لم تبح من لا يريد سؤالها

فامر هشام ان يجمع له من بحضرته من الرواة فقرأت عليهم الابيات فقال شعر من تشبه فاجمعوا جميعاً من ساعتهم انه كلام الكميت فقال هشام نعم هذا الكميت ينددني بخالد ابن عبدالله فكتب اليه بالابيات وخالد يومئذ بواسط فكتب الى واليه يأمره بأخذ الكميت وحبسه وارسل الى هشام

بقصيدته التي يقول في اولها :

الا هل عم في رأيه متأمل وهل مدبر بعد الاساءة مقبل

فكتبها وادرجها في كتاب فيه : هذا شعر الكميت فان كان صدق في هذا فقد صدق في ذاك فلما قرأت على هشام غضب فلما سمع :

فيا ساسة هاتوا الناس جوابكم ففيكم لعمري ذو أفانين مقول

اشتد غيظه وكتب الى خالد يأمره أن يقطع ايدي الكميت ورجليه ويضرب عنقه ويهدم داره ويصلبه على ترابها فلما قرأ الكتاب كره ان يستفسد عشيرته واعلن الامر رجاء ان يتخلص الكميت ثم اعاد حديث حبسه وتخلصه بثياب زوجته ودخل على هشام فوجده مغموماً فقال مالي اراك مغموماً لاغمك الله فاخبره ان جارية له اسمها صدوف عتب عليها وهجرها وحلفها ان لا يبدءها بكلام فغمه ذلك فانشأ الكميت :

اعتبت أم عتبت عليك صدوف
وعتاب مثلك مثلها تشريف

لا تقعدن تلوم نفسك دائباً فيها وانت بحبها مشغوف

ان الصريمة لا يقوم بثقلها الا القوي بها وانت ضعيف

ودخل على يزيد بن عبد الملك وعنده سلامة القس فقال: هذه جارية تباع اشترى ان نبتاعها قال: اي والله وما ارى ان لها مثلا في الدنيا فلا تفوتنك قال: فصفها فقال:

هي شمس النهار في الحسن إلا انها فضلت بقتل الطراف
غضة بضة رخيم لعوب وعثة المتن شختة الاطراف
زانها دلها وثغر نقي وحديث مرتل غير جاف
خلقت فوق منية المتمني فاقبل النصح يا بن عبد مناف

وقيل ان الباقر عليه السلام قال له ايه يا كميت انت القائل:

فالآن صرت الى أمية الخ . . .

قال نعم قد قلت، ولا والله ما اردت به الا الدنيا ولقد عرفت فضلكم قال ان قلت ذلك: ان التحية لتحل.

وسئل معاذ الهراء: من اشعر الناس؟ قال: من الجاهليين ام الاسلاميين قالوا بل من الجاهليين فقال امرؤ القيس وزهير وعبيد بن الابرص قالوا فمن الاسلاميين قال الفرزدق وجرير والاخطل والراعي فقيل له مارأيناك ذكرت الكميت قال ذاك اشعر الاولين والآخرين وقال ابنه المستهل كان الكميت يشهد على بني أمية بالكفر فقيل له قلت في بنى

هاشم فاحسنت وقلت في بنى امية افضل ، قال . اني اذا قلت احببت ان احسن . ودخل على مخلد بن يزيد بن المهلب فانشده :

قادالجيوش لخمس عشرة حجة ولداته عن ذاك في اشغال
قعدت بهم هماتهم وسمت به همم الملوك وسورة الابطال

وكان قدام مخلد دراهم يقال لها الروبجة فقال خذ وقرك منها فقال له البغلة بالباب وهي اجلد مني فقال خذ وقرها فاخذ اربعة وعشرين الف درهم فقيل لابيه في ذلك فقال : لا ارد مكرمة فعلها ابنى .

ولما انشد الباقر « عليه السلام » قصيدته امام التشريق بمنى حتى بلغ قوله :

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم
فيا آخراً اسدى له الغي أول

رفع ابو جعفر يده الى السماء وقال اللهم اغفر للكميت. وروي بسنده عن درد بن زيد اخ الكميت قال ارسلني الكميت الى ابي جعفر « عليه السلام » فقلت له ارسلني الكميت اليك وقد صنع بنفسه ماصنع فتأذن له ان يمدح بنى امية

قال نعم هو في حل فليقل ماشاء . وولد الكميت ايام مقتل الحسين « ع » سنة ستين هـ ومات سنة ستة وعشرين ومائة في خلافة مروان بن محمد . وعن المسهل قال حضرت ابي عند الموت وهو يجود بنفسه ثم افاق وفتح عينيه ثم قال اللهم آل محمد اللهم آل محمد ثلاثاً ثم قال يا بنى بلغني في الروايات انه يحفر بظهر الكوفة خندق يخرج فيه الموتى من قبورهم وينبشون منها فيحولون الى قبور غير قبورهم فلاتدفنى في الظهر ولكن اذا مت فادفنى في موضع يقال له (مكران) وكان أول من دفن فيه وهي مقبرة بنى اسد الى الساعة .

وقيل للمسهل بن الكميت ما يعجبك من النساء فقال :

غراء تسحب من قيام فرعها   جثلا يزينه سواد اسحم
فكانها فيه نهار مشـــرق   وكانه ليل عليها مظلم

وعير بقول ابيه :

فالآن صرت الى امية   والامور الى مصاير

فقال انما اراد والامور الى مصايرها اي بني هاشم .

وذكر ابو الفرج من اخبار الكميت واشعاره ماطاب وطهر وخبث وقذر ، وفيما انتخبناه من ذلك كفاية .

نسب الفرزدق واخباره ومناقضاته

الفرزدق لقب غلب عليه ، وهو الرغيف الضخم يجفف للفتوت او قطعة العجين التي تبسط فيجر منها الرغيف شبه بها وجهه لانه كان غليظاً جهما . اسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية الى مجاشع بن دارم الى زيد مناة بن تميم واسم دارم بحر والدرمان تقارب الخطو ، حمل خريطة مال فقالوا جاءكم يدرم بها فسمي دارما وللفرزدق اخ يقال له هميم ويلقب الاخطل ليست له نباهة اعقب ابنا يقال له محمد مات فرثاه الفرزدق وله من الولد خبطة ولبطة وسبطة هؤلاء المعروفون وله غيرهم وله بنات خمس او ست . وكان يقال لصعصعة محي الموؤدات . مر برجل يحفر بئراً وامرأته تبكي فقال لها مايبكيك قالت يريد ان يئد بنتي هذه فقال له ماحملك على هذا قال الفقر قال فاني اشتريتها منك بناقتين يتبعها اولادها تعيشون بالبانها ولا تئد الصبية قال فعاطاه الناقتين

وجملا كان تحته فحلا وقال في نفسه ان هذه المكرمة ما سبقني اليها احد من العرب فجعل على نفسه الا يسمع بموؤدة الا فداها فجاء الاسلام وقد فدى ثلاثمائة موؤدة وقيل اربعمائة ثم ذكر هذه الواقعة بطريقين آخرين كل منهما ابسط من هذه وقال صعصعة قدمت على النبي « ص » فعرض علي الاسلام فاسلمت وعلمني آيات من القرآن فقلت يارسول الله اني عملت اعمالا في الجاهلية هل فيها من اجر ؟ ثم ذكر حديث فداء الموؤدات فقال له « عليه الصلاة والسلام » هذا باب من البر ولك اجره اذ من الله عليك بالاسلام وقد فخر بذلك الفرزدق في عدة قصائد من شعره منها قوله في قصيدة :

ابي احد الغيثين صعصعة الذي   متى تخلف الجوزاء والدلو يمطر
اجار بنات الوائدين ومن يجر   على الفقر يعلم انه غير مخفر
على حين لا تحيا البنات واذ هم
عكوف على الاصنام حول المدور
انا ابن من رد المنية فضله   فما حسب دافعت عنه بمعور

وقوله :

وجدي الذي منع الوائدات   واحيا الوئيد فلم يوأد

وكان صعصعة شاعراً وهو القائل :

اذا المرء عادى من يودك صدره
وكان لمن عاداك خدناً مصافيا
فلا تسألن عما لديه فانه
هو الداء لا يخفى بذلك خافيا

وتراهن ثلاث نفر من كلب على ان يختاروا من تميم وبكر ليسألوهم فايهم اعطى ولم يسألهم عن نسبهم من هم فهو افضلهم فاختار كل رجل منهم رجلا ، والذين اختيروا عمير ابن مسعود الشيباني ، وطلبة بن قيس بن عاصم المنقري ، وغالب بن صعصعة المجاشعي ابو الفرزدق فاتوا عمير وسالوه مائة ناقة فقال من انتم فانصرفوا عنه ثم اتوا طلبة فقال من انتم ، فاتوا غالباً فسألوه فاعطاهم مائة ناقة وراعيها ، ولم يسألهم من هم ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

واذ نادبت كلب على الناس ايهم
احق بتاج الماجد المتكرم
على نفرهم من نزار ذوي العلى
واهل الجراثيم التى لا تهدم
فلم يجز عن احسابهم غير غالب
جرى لعنان كل ابيض خضرم

وهو الذي نحر في خلافة علي « ع » بكناسة الكوفة

مئتي ناقة وبعير نخرج الناس بالزبابيل والحبال لاخذ اللحم
وكان ذاك في سنة مجدبة ولكنه مواءمة ـ اي مفاخرة ـ
لسحيم بن وثيل الرياحي فعجز عن ذلك سحيم ، ولما رآهم
علي « ع » قال ايها الناس لايحل لكم انما اهل بها لغير الله،
وجاء الى علي «ع» بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة فقال ان ابني
هذا من شعراء مضر فاسمع منه قال علمه القرآن فكان ذلك في
نفس الفرزدق فقيد نفسه في وقت وآلى ان لا يحل قيده حتى
يحفظ القرآن . قال محمد بن يحيي فقد صح لنا ان الفرزدق
كان شاعراً موصوفاً أربعاً وسبعين سنة وندع ماقبل ذلك
لان مجيئه بعد الجمل على الاستظهار كان سنة ست وثلاثين
وتوفي الفرزدق سنة عشرة ومائة في خلافة هشام هو وجرير
والحسن وابن سيرين في ستة اشهر ، وقال الفرزدق كنت
اجيد الهجاء في ايام عثمان وقال ابو عبيدة الشعراء في
الجاهلية من قيس ، وليس في الاسلام مثل حظ تميم في
الشعر واشعر تميم جرير والفرزدق وقال يونس ماذكر جرير
والفرزدق في مجلس شهدته فاتفق المجلس على احدهما . ومر
الفرزدق بابن ميادة وهو ينشد :

لوان جميع الناس كانوا بربوة وجئت بجدي ظالم وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجودعلى اقدامنا بالجماجم

فقال له اما والله يا ابن الفارسية لتدعنه لي او لانبشن اباك من قبره . فقال له خذ لابارك الله لك فيه فغيره

(وجئت بجدي دارم وابن دارم) ثم افاض ابو الفرج في حـــديث الفرزدق مع ابنة عمه النوار ابنة اعين بن صعصعة ، وكان قد خطبها رجل فارسلت الى الفرزدق ان يزوجها منه فقال لا افعل او تشهدي انك رضيت بمن ازوجك به ففعلت فجمع بني دارم حتى شحنوا مسجد بني مجاشع فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد علمتم ان النوار قد ولتني امرها واشهدكم اني زوجتها نفسي على مائة ناقـة حمراء سوداء الحدقة فنفرت من ذلك وشخصت الى ابن الزبـــير تشتكيه فاستجـارت بزوجته خولة بنت منظور بن ريان الفزاري وتبعها الفرزدق ونزل على اولاد عبدالله فشفعوا له الى ابيهم فجعل يشفعهم في الظاهر حتى اذا صار الى خولة قلبته عن رأيه ومال الى النوار ، فقال الفرزدق :

اما بنوه فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن ريانا

ليس الشفيع الخ . . .

فقيل ان ابن الزبير ارجعهم الى حكم عشيرتهم فحكموا عليها بالرجوع الى الفرزدق وقيل الزمه بصداقها فدفعه وردها اليه ، فاخذها وقال :

هلمي لابن عمك لاتكوني كمختار على الفرس الحمارا

وقال جرير في ذلك :

الاتلكم عرس الفرزدق جامحاً
ولو رضيت رمح استه لاستقرت

ومكثت النوار عنده زماناً ترضى عنه احياناً وتخاصمه احياناً وكانت امرأة صالحة فلم تزل تشمئز منه وتقول له ويحك انت تعلم انك انما تزوجت ضغطه وعلى خدعة ثم تجنبت فراشه فتزوج عليها امرأة يقال لها جهيمة وقال فيها :

تريك نجوم الليل والشمس حية
كرام نبات الحارث بن عباد

ابوها الذي قاد النعامة بعدما ابت وائل في الحرب غيرتماد

عدلت بها ميل النوار فاصبحت
وقد رضيت بالنصف بعد بعاد

فلم تزل النوار تستعطفه حتى اجابها الى طلاقها واخذ عليها ان لا تفارقه ولا تبرح من منزله ولا تتزوج رجلا بعده ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له واخذت عليه ان يشهد الحسن البصري على طلاقها فجاءه وقال يا ابا سعد اشهد ان النوار طالق ثلاثاً فقال شهدنا فلما انصرف قال لمن معه قد ندمت فقالوا له اتدري من اشهدت والله لان رجعت لترجمن باحجارك فمضى وهو يقول :

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقة نوار

ولو اني ملكت يدي وقلبي ... لكان علي للقدر الخيار

وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين اخرجه الضرار

وكنت كفاقئ عينيه عمداً ... فاصبح مايضيء له نهار

ولجأت الى بني قيس بن عاصم فقال فيهم :

بني عاصم لا تجنبوها فانكم ... ملاجيء للسوءآت دسم العمائم

بني عاصم لو كان حيا ابوكم ... للام بنيه اليوم قيس بن عاصم

وخاصمته يوماً فاخذت بلحيته فقال :

قامت نوار الي تنتف لحيتي ... تنتاف جعدة لحية الخشخاش[١]

---

[١] وخشخاش رجل من عنزه ، وجعدة امرأته .

كلتاهما اسد اذا ما اغضبت واذا رضين فهن خير معاش

وله :

ولو تنكح الشمس النجوم بناتها
نكحنا بنات الشمس قبل الكواكب

وقال لها يفضل عليها زوجته الاعرابية حدراء :

لعمري لأعرابية من مضلة تظل بروقي بيتها الريح تخفق
احب الينا من ضناك ضفنة اذا وضعت عنها المراويح تعرق
كريم غزال او كدرة غائص
تكاد اذا مرت لها الارض تشرق

وسئل الحسن البصري في من يقول لا والله وبلى والله لايريد اليمين فقال الفرزدق اماسمعت قولي :

ولست بمأخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم

وسأله آخر فقال : نكون في هذه المغازي فنصيب المرأة لها زوج افيحل غشيانها ولم يطلقها زوجها . فقال الفرزدق اما سمعت قولي :

وذات حليل انكحتنا رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق

وقال علي بن زيد ما سمعت الحسن يتمثل شعراً قط الا

بيتاً واحداً وهو :

الموت باب وكل الناس داخلة　　فليت شعري بعد الباب ما الدار

قال : وقال يوماً ماقول الشاعر :

لولا جرير هلكت بجيلة　　نعم الفتى وبئست القبيلة

أهجاه ام مدحه ؟ قلت : مدحه وهجي قومه ، قال : ما مدح من هجي قومه ، وقال ابن حازم لم اسمعه ذكر شعراً قط الا :

(ليس من مات فاستراح　　الخ . .)

وقال رجلا لابن سيرين وهو مستقبل القبلة يريد ان يكبر : أتوضوء من الشعر وانصرف بوجهه اليه وقال :

الا اصبحت عرس الفرزدق ناشزاً

ولو رضيت رمح استه لاستقرت

ثم كبر وقال ابن سلام الفرزدق اكثرهم بيتاً مقلداً ـ والمقلد المشهور الذي يضرب به المثل ـ من ذلك قوله :

فياعجباً حتى كليب تسبني　　كأن اباها نهشل اومجاشع

وقوله :

وكنا اذا الجبار صعر خده　　ضربناه حتى تستقيم الاخادع

اخذه بشار فقال :

« مشينا أليه بالسيوف نعاتبه »

وقوله :

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً
بصاحبه يوماً احال على الدم

وقوله :

ترجي ربيع ان تجيء صغارها بخير وقد اعيا ربيعاً كبارها

وقوله :

قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

وقوله :

احلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جناً اذا ما نجهل

وقوله :

فان تنج منى تنج من ذي عظيمة
والا فاني لا اخالك ناجيـــا

وقوله :

ترى كل مظلوم الينا فراره ويهرب منا جهده كل ظالم

وقوله :

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا

وان نحن اومأنا الى الناس وقفوا

وقوله :

فسيف بني عبس وقد ضربوا به

نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبوا وتقطع احياناً مناط القلائد

وكان يفاضل ويداخل الكلام وكان ذلك يعجب اصحاب النحو . فمنه قوله في هشام بن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك :

واصبح ما في الناس الا ممسكاً ابو امة حي ابوه يقاربه

وقوله :

تالله قد سفهت امية رأيها واستجهلت سفهاؤها حلماءها

ثم ذكر ابياتاً ليست من باب المتداخل والمعقد مثل قوله :

الستم عاجين بنا لعنا نرى الواحات أو اثر الخيام

وقوله :

تعال فان عاهدتني لا تخونني

نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

وقوله :

والشيب ينهض بالشباب/بالسواد كأنه   ليل يصيح بجانبيه نهار

نعم من المتداخل قوله :

بني الفاروق امك وابن اروى   به عثمان مروان المصابا

وقوله :

الى ملك ما امه من محارب   أبوه ولا كانت كليب تصاهره

وقوله

وعض زمان يابن مروان لم تدع   من المال إلا مسحتاً أو مجلف

وقوله :

ولقد دنت لك بالتخلف إذ دنت   منها بلا نجل ولا مبذول

وكأن لون رضاب فيها إذ بدا   برد بفرع بشامة مصقول

ومن لطيف هجائه قوله في خالد بن عبدالله القسري حين قدم الكوفة أميراً لهشام .

الا قطع الرحمن ظهر مطية   أتتنا تمطي من دمشق بخالد

وكيف يؤم المسلمين وامه   تدين بأن الله ليس بواحد

بنى بيعة فيها الصليب لامه   وهدم من كفر منار المساجد

وماتت زوجته حدراء فقال فيها من أبيات :

ولست وان عزت علي بزائر ترابا على مرموسة قد تضعضعا

وقال يهجو زوجه رهيمة .

قرنت بنفسي السوم في ورد حوضها
فجرعته ملحاً بماء رماد

وما زلت حتى فرق الله بيننا له الحمد منها في اذى وجهاد

تجدد لي ذكرى عذاب جهنم ثلاثاً تمسيني بها وتغادي

وحملت منه امرأة ثم ماتت فبكاها وبكى ولده منها بقوله :

وغمد سلاح قد رزأت فلم انح عليه ولم ابعث عليه البواكيا

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو ان المنايا انسأته لياليا

ولكن ريب الدهر يعثر بالفتى فلم يستطع رداً لما كان جائيا

وكم مثله في مثلها قد وضعته وما زلت وثابا اجر المخازيا

وكتب أهله اليه يشكون ام مكية زوجته فكتب :

كتبتم عليها انها ظلمتكم كذبتم وبيت الله بل تظلمونها

فالا تعدوا انها من نسائكم فان ابن ليلى والد لا يشينها

وظهر من بعض ولده عقوق له فقال :

أأن ارعشت كفا ابيك واصبحت
يداك يدا ليث فانك جاذبه

اذا غالب ابن بالشباب أباً له كبيراً فان الله لاشك غالبه
رأيت تباشير العقوق هي التي
من ابن امرىء ما ان يزال يعاتبه
ولما رآني قد كبرت وانني
اخو الحي واستغنى عن المسح شاربه
اصاخ لغربان النجي وانه ليزور عن نصح المقالة جانبه

ولما هجا خالد بن عبدالله القسري وذكر المبارك نهره الذي حفره بواسط كتب الى مالك بن المنذر أن احبس الفرزدق فانه هجا نهر أمير المؤمنين بقوله :

أهلكت مال الله في غير حقه على نهرك الشؤوم غير المبارك

فحبس وله في ذلك أشعار كثيرة . ولما هجا زياد هرب الى سعيد بن العاص بالمدينة وقال :

الا من مبلغ عني زياداً مغلغلة يخب بها البريد
بأني قد فررت الى سعيد ولا يسطاع ما يحمي سعيد
فررت اليه من ليث هزبر تفادى عن فريسته الاسود

وأقام بالمدينة يدخل بها على القيان وقال :

اذا شئت غناني من العاج قاصف
على معصم ريان لم يتخدد

لبيضاء من أهل المدينة لم تمش ببؤس ولم يتبع حمولة مجهد
وقامت تخشيني زياد واجفلت حوالي في برد يمان ومجسد
فقلت دعيني من زياد فانني أرى الموت وقاعا على كل مرصد

ولما هلك زياد رثاه مسكين الدارمي بأبيات منها :

رأيت زيادة الاسلام ولت جهاراً حين فارقنا زياد

فقال الفرزدق :

أمسكين ابكى الله عينيك انما جرى في ضلال دمعها فتحدرا
أتبكي امرءاً من آل ميسان كافراً
لكسرى على عداته أو كقيصرا
أقول له لما اتاني نعية به لا بظبي بالصريمة اعفرا

ولقي الحسين عليه السلام متوجهاً الى الكوفة خارجاً من مكة في اليوم السادس من ذي الحجة فقال له الحسين صلوات الله عليه وآله ماوراؤك قال يابن رسول الله أنفس الناس معك وأيديهم عليك قال ويحك معي وقر بعير من كتبهم يدعونني ويناشدوني الله قال : فلما قتل الحسين عليه السلام قال الفرزدق فان غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا انه سيدوم عزها وتبقى هيبتها وان صبرت عليه ولم تتغير لم

يزدها الله الا ذلا الى آخر الدهر . وأنشد :

فان انتم لم تثأروا لأبن خيركم
فالقوا السلاح واغزلوا بالمغازل

وروي بطريق آخر عن لبطة عن أبيه الفرزدق قال لقيت الحسين بن علي صلوات الله عليهما وأصحابه بالصفاح وعليهم ملاء من الديباج قد ركبوا الابل وجنبوا الخيل متقلدين السيوف متنكبين القسي فسلمت عليه وقلت أين تريد قال العراق فكيف تركت الناس قلت تركت الناس قلوبهم معك وسيوفهم عليك والدنيا مطلوبة وهي في أيدي بني امية والأمر الى الله عزوجل والقضاء ينزل من السماء بما شاء .

وذكر أبياته فى مدح زين العابدين سلام الله عليه فى جواب هشام بن عبدالملك التي ذكرها في أخبار الحزين الدؤلي وقد ذكرها بصورة اخرى بسنده الى الشعبي قال حج الفرزدق بعد ما كبر وقد أتت له سبعون سنة وكان هشام قد حج ذلك العام فرأى علي بن الحسين عليه السلام في غمار الناس في الطواف فقال من هذا الشاب الذي تبرق أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيه عذارى الحي وجوهها فقالوا

هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم فقال الفرزدق :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

ثم ذكر الابيات المتقدمة الى قوله :

يكاد يمسكه عرفان راحته الخ .. وبعده

الله شرفه قدما وعظمه جرى بذاك له في لوحه القلم
اي الخلائق ليست في رقابهم لاولية هـذا اوله نعم
من يشكر الله يشكر أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الامم
ينمى الى ذروة الدين التي قصرت عنها الأكف وعن ادراكها القدم
من جده دان فضل الأنبياء له وفضل امته دانت له الامم
مشتقة من رسول الله نبعته طابت مغارسه والخيم والشيم
ينشق ثوب الدجى عن نور غرته كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
من معشر حبهم دين و بغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل قول ومختوم به الكلم
ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم او قيل من خير خلق الله قيل هم

لا يستطيع جواد بعد جودهم ولا يدانيهم قوم وان كرموا
يستدفع الشر والبلوى بحبهم ويسترب به الاحسان والنعم

فغضب هشام وحبسه فقال البيتين التالي ذكرها فأطلقه .
ولما جيء به الى اسر أخ خالد القسري أمر بحبسه وكان عنده جرير فشفع له وقال جرير يذكر شفاعته له :

وهل لك في عان وليس بشاكر فتطلق عنه عض مس الحدائد
يعود وكان الخبث منه سجية وان قال اني منته غير عائد

ولما كان بالمدينة توعده مروان وأمره بالخروج الى ثلاث فقال :

دعانا ثم اجلنا ثلاثاً كما وعدت لمهلكها ثمود

فقال مروان :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها
ان كنت تارك ما امرتك فالبس
ودع المدينة انها محظورة والحق بمكة أو ببيت المقدس

فعزم على الشخوص الى مكة وكتب له مروان الى بعض عماله ما بين مكة والمدينة بمائتي دينار فارتاب الفرزدق ورد الكتاب اليه وقال :

مروان ان مطيتي محبوسة ترجو الحباء وربها لم ييأس
وأتيتني بصحيفة مختومة يخشى علي بها حباء النقرس
الق الصحيفة يافرزدق لاتكن نكداً كمثل صحيفة المتلمس

فضحك وقال انك امي فاذهب بها الى من يقرؤها حتى اختمها . وامر له الحسين عليه السلام بمائتي دينار أيضاً . وروى أبو عبيدة عن يونس انه قال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب . قال ابو الفرج : الفرزدق مقدم على الشعراء الاسلاميين هو وجرير والأخطل ومحله في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول او يدل عليه بوصف لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم ويعلمان تقدمه بالخبر الشايع علما يستغنى به عن الاطالة وقد تكلم الناس في هذا قديماً وحديثاً ، فأما قدماً أهل العلم فلم يسووا بينهما وبين الأخطل لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر ولا له مثل ما لهما من فنونه وهم في ذلك طبقتان أما من كان يميل الى جزالة الشعر ونخامته وشدة اسره فيقدم الفرزدق ، وأما من كان يميل الى أشعار المطبوعين والى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريراً . قال ابو عبيدة ومات الفرزدق سنة مائة وعشر وقد نيف على

التسعين كان منها خمس وسبعين سنة يباري الشعراء ويهجو الأشراف ما ثبت له أحد قط إلا جريراً . وجاءت امرأة الى قبر أبيه غالب فضربت عليه فسطاطا فأتاها فسألها فقالت اني عائذة بقبر غالب من أمر نزل بي قال قد ضمنت خلاصك منه فما هو قالت ان لي ابناً اغزى الى السند مع تميم بن زيد وهو واحدي قال انصرفي فعلي انصرافه اليك وكتب الى تميم :

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهر فلا يخفى علي جوابها
وهب لي حبيشاً واتخذ فيه منة لحرمة ام ما يسوغ شرابها
اتتني فعاذت يا تميم بغالب وبالحفرة الباني عليها ترابها

قال : فعرض تميم من معه من الجند فلم يدع أحد اسمه حبيش أو حنيش الا وصله واذن له بالانصراف قال لبطة ان اباه اصابته ذات الجنب فكانت سبب وفاته ووصف له ان يشرب النفط الابيض فجعلناه في قدح وسقيناه إياه فقال يابني عجلت لأبيك بشراب أهل النار وكان يقول في مرضه :

ارني من يقوم لكم مقامي اذا ما الأمر جل عن الخطاب
الى من تفزعون اذا حثوتم بأيديكم علي من التراب

ومات له ابن صغير فصلى عليه وقال :

وما نحن إلا مثلهم غير اننا أقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

ونعي الفرزدق لجرير وهو عند المهاجر بن عبدالله فقال :

مات الفرزدق بعد ما جرعته ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر بئس ما قلت اتهجو ابن عمك بعدما مات لو رثيته لكان أحسن بك قال والله اني لأعلم ان بقائي بعده لقليل وان نجمي موافق لنجمه وقال يرثيه من أبيات :

فلاولدت بعد الفرزدق حامل ولاذات بعل من نفاس ابلت
هو الوافد الميمون والواثق النثي
اذا النعل يوماً بالعشيرة زلت

وقيل لما نعي اليه دمعت عيناه فقيل له سبحان الله أتبكي على الفرزدق فقال والله ما أبكي إلا على نفسي أما والله ان بقائي خلافه لقليل انه قلما كان رجلان يحتجان على خير او شر الا كان أمد ما بينهما قريباً (١) ثم انشأ يقول :

فجعنا بحمال الديات ابن غالب وحامي تميم كلها والبراجم
بكيناك حدثان الفراق وانما بكيناك شجواً للامور العظائم

(١) وقال قلما تصاول فحلان فمات أحدهما الا اسرع لحاق الآخر به

فلا حملت بعد ابن ليلى مهيرة ولا شد انساع المطي الرواسم

وقال ابو ليلى المجاشعي يرثيه :

لعمري لقد اشجى تميماً وهدها
على نكبات الدهر موت الفرزدق
عشـــية قدنا للفرزدق نعشه
الى جدث في هوة الارض معمق
لقد غيبوا في اللحد من كان ينتمي
الى كل بدر في السماء محلق
ثوى حامل الاثقال عن كل مثقل
ودفاع سلطان الغشوم السملق
لسان تميم كلها وعمادها وناطقها المعروف عند كل مخنق
فمن لتميم بعد موت ابن غالب اذا حل يوم مظلم غير مشرق
لتبك النساء المعولات ابن غالب لجان وعان في السلاسل موثق

ومات جرير بعده بستة أشهر وفي هذه السنة مات الحسن البصري وابن سيرين فقالت امرأة من البصرة كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه في سنة . وقال ابو حازم رؤي الفرزدق وجرير في النوم فكان الفرزدق بخير وجرير معلق .

وقال الفرزدق نفعتنى الكلمة التي نازعت الحسن على القبر فان الحسن قال له ما اعددت لهذا المضجع فقال شهادة لا إله إلا الله منذ سبعين سنة قال اذاً تنجون صدقت ورؤى في النوم فقيل له مافعل الله بك قال غفر لي باخلاصي يوم الحسن وقال لولا شيبتك لعذبتك واراد ان يهجو بني غدانه فأتاه عطية بن جعال فسأله ان يصفح له عن قومه ويهب له اعراضهم ففعل وقال :

ابني غدانة انني حررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال
لولا عطية لاجتدعت انوفكم من بين الأم آنف وسبال

فقال عطية ما اسرع ما ارتجع هبته قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة . وشهد عند اياس القاضي فقال اجزنا شهادة الفرزدق وزيدونا شهوداً فقام فرحاً فقيل له والله ما اجاز شهادتك فقال قد سمعته يقول قد قبلنا شهادة أبي فراس قالوا افما سمعته يستزيد شهوداً قال وما يمنعه ان لا يقبل شهادتي وقد قذفت ألف محصنة .

وكان عبدالله بن عبدالملك من فتيان بني امية وظرفائهم وكان حسن الوجه حسن المذهب فقال الحزين يمدحه وقد

دخل عليه فراعه مارأى من جمال وجهه وبهائه وفي كفه قضيب خيزران وكان قد صنع له شعراً فنسيه ووقف ساكتاً واجماً ثم ارتجل في مدحه هذين البيتين وهما :

في كفه خيزران ريحها عبق
من كف اروع في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسم

قال والناس يرددون هذين البيتين للفرزدق في ابياته التى يمتدح بها على بن الحسين عليه السلام التي اولها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

وهو غلط ممن رواه وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل علي بن الحسين وله من الفضل المتعالم ما ليس لاحد . حدثنا جرير بن المغيرة قال كان على بن الحسين عليه السلام يبخل فلما مات وجدوه يعول مائة اهل بيت بالمدينة وكان يحمل جراب الخبز على ظهره فيتصدق به ويقول ان صدقة الليل تطفيء غضب الرب وكان يقول ما اكلت بقرابتي من رسول الله شيئاً قط . وكان ناس من المدينة يعيشون وما يدرون من اين عيشهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا

يؤتون به بالليل . ثم روى بسنده قال حج هشام بن عبدالملك في خلافه الوليد اخيه ومعه رؤساء اهل الشام فجهد ان يستلم الحجر يقدر من ازدحام الناس فاقبل عليه فنصب له منبر فجلس عليه ينظر الى الناس فاقبل علي بن الحسين عليه السلام وهو احسن الناس وانظفهم ثوبا واطيبهم رائحة فطاف في البيت فلما بلغ الحجر الاسود تنحى الناس كلهم واخلوا له الحجر ليستلمه هيبة واجلالا له فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه فقال رجل لهشام من هذا اصلح الله الامير قال لا اعرفه وكان به عارفاً ولكنه خاف ان يرغب فيه اهل الشام ويسمعوا منه فقال الفرزدق وكان حاضرا الكل ذلك انا اعرفه فسلني ياشامي قال ومن هو فقال :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفـــه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من انكرت والعجم

اي الخلائق ليست في رقابهم لأولية هذا اوله نعم
من يعرف الله يعرف اولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الامم

فحبسه هشام فقال :

أيحبسني بين المدينة والتى اليها قلوب الناس يهوى منيبها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعينا له حولاء باد عيوبها

فبعث هشام فاخرجه ووجه اليه علي بن الحسين عليه السلام عشرة آلاف درهم وقال اعذر يا ابا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت اكثر من هذا لوصلناك به فردها وقال : ماقلت ما كان الا لله وما كنت لارزأ عليه شيئاً فقال له علي عليه السلام قد رأى الله مكانك فشكرك ولكنا اهل بيت اذا انفذنا شيئاً لا نرجع فيه فاقسم عليه فقبلها

ومن الناس من يروي هذه الابيات (يعني البيتين السابقين) لداود بن مسلم في قثم بن العباس وقبلها :

كم صارخ لك من راج وراجية
يرجوك ياقثم الخيرات ياقثم
اي العباد ليست في رقابهم لاولية هذا اوله نعم
في كفه خيزران .. الخ ..

قال وقد غلط ابن عايشة في ادخاله البيتين في تلك الابيات وابيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة تنبي عن نفسها وهي :

الله يعلم ان قد جبت ذا يمن ثم العراقين لا يثنيني السأم
ثم الجزيرة اعلاها واسفلها
كذاك تسري على الاهوال بي القدم
قالوا دمشق ينبيك الخبير بها ثم ائت مصر فثم النائل العمم
لما وقفت عليه في الجموع ضحى
وقد تعرضت الحجاب والخدم
حييته بسلام وهو مرتفق وضجة القوم عند الباب تزدحم
في كفه خيزران . . . البيتان
ترى رؤوس بني مروان خاضعة يمشون حول ركابيه وما ظلموا
ان هش هشوا به واستبشروا جذلا
وان هم آنسوا اعراضه وجموا
كلتا يديه ربيع عند ذي خلف
بحر يفيض وهذي عارض هزم

اخبار الفرزدق مع زوجته نوار

ومجملها ان رجلا من بني امية خطب نوار بنت اعين المجاشعية فاجابت وجعلت امرها الى الفرزدق فقال اشهدي بذلك على نفسك شهوداً ففعلت واجتمع الناس لذلك فتكلم الفرزدق فقال اشهدوا اني قد تزوجتها واصدقتها بكذا وكذا فانا ابن عمها... واحق بها فبلغها ذلك وابت واستترت عنه ثم قدمت الى مكة ونزلت على بنت منظور بن ريان واستشفعت بها الى زوجها عبدالله بن الزبير في ايامه ليطلقها من الفرزدق فلحقها الفرزدق وانضم الى حمزة بن عبدالله بن الزبير وامه بنت منظور ومدحه بمدائح كثيرة ، منها :

يا حمز هل لك في ذي حاجة عرضت
انضاؤه بمكان غير محظور

فانت احرى قريش ان تكون لها
وانت بين ابي بكر ومنظور

بين الحواري والصديق في شعب
نبتن في طيب الاسلام والخير

وقال في النوار شعراً كثيراً منه :

هلمي لابن عمك لا تكوني كمختار على الفرس الحمارا

ومنه : تخاصمني النوار وغاب فيها

كرأس الضب يلتمس الجرادا

فجعل امر الفرزدق يضعف وامر نوار يقوى بشفاعة بنت منظور فقال الفرزدق :

اما بنوك فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن ريانا

ليس الشفيع الذي ياتيك مؤتزرا

مثل الشفيع الذي ياتيك عريانا

فبلغ ابن الزبير ذلك فدعا النوار وقال ان شئت فرقت بينكما وقتلته فلا يهجونا وان شئت سيرته الى بلاد العدو فقالت ما اريد واحدة منها فقال ابن عمك وهو فيك راغب أفازوجه اياك قالت نعم فزوجها منه فقال الفرزدق: اتينا متباغضين وخرجنا متحابين وذلك بعد ان كاد ابن الزبير يحكم على الفرزدق بطلاقها وقال الفرزدق والله ما يريد ذلك الا ان اطلقها ليثب عليها فينكحها فبلغ ذلك ابن الزبير فقبض عليه بباب المسجد فاخذ بعنقه نغمزها حتى كاد يدقها ثم قال :

لقد اصبحت عرس الفرزدق ناشزا

ولو رضيت رمح استه لاستقرت

والبيت لجعفر بن الزبير . ثم الفرزدق تزوج عليها بنساء متعددة منهن الحدراء بنت زيق بن بسطام فقالت له نوار ويلك تزوجت اعرابية دقيقة الساقين بوالة على عقبيها على مائة بعير فقال الفرزدق يفضلها عليها ويعتبر النوار بانها كانت تربيها امها :

لجارية بين السليل عروقها وبين ابي الصهباء من آل خالد

احق باغلاء المهور من التي

ربت وهي تنزو في حجور الولائد

وقال ايضا :

لعمري لاعرابية في مظلة تظل باعلى بيتها الريح تخفق

كريم غزال او كدرة غائص اذا ما أتت مثل الغمامة تشرق

احب الينا من ضناك ضفنة اذا وضعت عنها المراوح تعرق

فقال بعض باهلة يجيبه بقوله :

اعوذ بالله من غول مغولة كان حافرها في الحد ظنبوب

لتستروح الشاة من ميل اذا ذبحت

حب اللحام كما يستروح الذيب

وله معها ومع غيرها من هذا القبيل اخبار اخر لا غرة بنقلها . وجاءه غلام من الانصار وهو مع جماعة يتناشدون الاشعار فقال ايكم الفرزدق فقالوا أتقول ذلك لسيد العرب وشاعرها فقال لو كان كذلك لم اقل له هذا فقال له الفرزدق ومن انت لا ام لك فقال من بني النجار بلغني انك تزعم انك اشعر العرب وقد قال صاحبنا حسان شعرا فاردت ان اعرضه عليك فان قلت مثله بعد سنة فانت اشعر العرب والا فانت اكذب العرب ثم انشد .

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
واسيافنا يقطرن من نجدة دما

متى ماتزرنا من معد عصابة | وغسان نمنع حوضنا ان يهدما
ابى فعلنا المعروف ان ننطق الخنا | وقائلنا بالعرف ان لا تكلما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق | فاكرم بنا خالا واكرم بنا ابنما

فاراد الفرزدق ان يهجوا الانصار فناشدوه الله ووصية النبي فيهم فكف عنهم .

(اخبار كثير عزة)

شاعر قحطاني يكني بجده ابي جمعة من فحول شعراء الاسلام . وجعله ابن سلام فى الطبقة الاولى منهم وقرن به جرير والفرزدق والاخطل والراعي وقيل ما قصد القصيد ولا نعت الملوك مثل كثير . وقال لعبد الملك كيف ترى شعري يا امير المؤمنين فقال يسبق السحر ويغلب الشعر . ونسب كثير الى عزة الضمريه بنت حميد بن وقاص لكثرة تشبيبه بها . وقيل انه كاذب في هواها وذكر لذلك شاهدين او اكثر قالوا كان جميل يصدق في حبه وكثير يكذب قيل انها قالت له يوماً ويحك اما تتقي الله ،متى خلوت معك في بيت أوغير بيت حتى تقول :

بأية ما أتيتك أم عمرو　　فقمت لحاجتي والبيت خالي

فقال لم أقله ولكنني قلت :

فاقسم لو اتيت البحر يوماً　　لأشرب ما سقتني من بلال

قالت اما هذا فنعم . وقالت عزة لبثينة تصدي له وأنا متخفية لأسمع ما يجيبك فعرضت عليه الوصل فقرب منها وقال :

رمتني على عمد بثينة بعدما تولى شبابي وارجحن شبابها

فكشفت عزة عن وجهها فبادرها وقال .

ولكنها تومين نفساً مريضة لعزة منها صفوها ولبابها

فضحكت وقالت اولى لك بها قد نجوت . وقيل انها تنكرت له وجعلت تميس في مشيتها فاتبعها وهو لا يعرفها فطلب منها ان يخالها فقالت وكيف بما قلت في عزة ؟ قال اقلبه فيك . فقالت وهل ابقت عزة فيك بقية؟ فقال بابي انت لو أن عزة لي لوهبتها لك فكشفت عن وجهها فبهت وابلس ولم ينطق وفي ذلك يقول :

ألا ليتني قبل الذي قلت شيب لي من السم خدخاد بماء الذرارح
فمت ولم تعلم علي خيانة وكم طالب بالربح ليس برابح
ابوء بذنبي انني قد ظلمتها واني بباقي سرها غير بائح

وذكر انه مات هو وعكرمة في يوم واحد فاجتمعت قريش في جنازة كثير ولم يوجد لعكرمة من يحمله . وذكر هنا خبر أبي جعفر الباقر (ع) مع النساء اللواتي خرجن في جنازة كثير وقوله (ع) وهو يضربهن بكمه : تنحين يا صويحبات يوسف وجواب امرأة له لقد صدقت انا لصويحبات يوسف وقد كنا خيراً له منكم . والقصة معروفة .

وهو من فحول شعراء الاسلام من الطبقة الاولى قرين جرير والفرزدق والاخطل والراعي وكان غالياً في التشيع يذهب مذهب الكيسانية ويقول بالرجعة والتناسخ وكان محمقاً مشهوراً بذلك وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيرهم ذلك له لجلالته في أعينهم ولطف محله في أنفسهم . وكان من اتيه النـــاس وأذهبهم بنفسه على كل أحد وقال بعضهم رأيت كثيراً يطوف بالبيت فمن حدثكم انه يزيد على ثلاثة أشبار فلا تصدقوه . وكان اذا دخل على عبد الملك يقول له طأطىء راسك لا يصيبك السقف ولذلك يقال له زب الذباب كما قال الحزين الدؤلي يهجوه :

لقد علقت زب الذباب كثيرا اساود لا يطنينه واراقم
قصير القميص فاحش عند بيته يعض القراد باسته وهو قائم

وقال يفتخر ببني النضر وكان ينتمي اليهم :

بنو النضر ترمي من ورائك بالحصى

الوحسب فيهـم وفاء ومصـــدق

يفيدونك المال الكثير ولم تجد لملكهم شبهاً لو انك تصدق

اذا ركبوا ثارت عليك عجاجة
وفي الارض من وقع الاسنة اولق

فأجابه الاحوص من ابيات :

دع القوم ما حلوا ببطن قراضم وحيث يفشي بيضه المتفلق
ولم تدرك القوم الذين طلبتهم فكنت كما كان السقاء المعلق
فاصبحت كالمهريق فضلة مائه لبادي سراب بالملا يترقرق

وقال كثير بماذا اعطى هؤلاء الاحوص عشرة آلاف درهم فقيل له في قوله :

وما كان مالي طارفا من تجارة وما كان ميراثاً من المال متلدا
ولكن عطايا من امام مبارك
ملأ الارض معروفاً ومجداً وسؤددا

فقال كثير اما انه لضرع قبحه الله الا قال :

دع عنك سلمى اذ فات مطلبها واذكر خليلك في بني الحكم
ما اعطياني ولو سألتهما الا واني الحاجزي كرمي
اني متى لا يكن نوالهما عندي بما قد فعلت احتشم
مبدي الرضا عنهما ومنصرف عن بعض ما لو فعلت لم الم
لا انزر النائل الخليل اذا ما اعتل نزر الظؤور لم يرم

وقال في ابن الحنفية وكان يرى فيه رأي السيد :

الا قل للوصي فدتك نفسي ... اطلت بذلك الجبل المقاما
اضر بمعشر والوك منا ... وسموك الخليفة والاماما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ... ولا دارت له ارض عظاما
لقد اوفى بمورق شعب رضوى ... يراجعه الملائكة الكلاما
هدانا الله اذ جزتم لامر ... به ولديه نلتمس التماما
تمام مودة المهدي حتى ... تروا آياتنا تترى نظاما

وقال فيه وقد حبسه ابن الزبير مع بني هاشم في سجن عارم:

سمي النبي المصطفى وابن عمه ... وفكاك اغلال ونفاع غارم
ابي فهو لا يشري هدى بضلالة ... ولا يتقي في الله لومة لائم
ونحن بحمد الله نتلو كتابه ... حلولا بهذا الخيف خيف المحارم
بحيث الحمام آمن الروع ساكن ... وحيث العدو كالصديق المسالم
فما فرح الدنيا بباق لاهله ... ولا شدة البلوى بضربة لازم
تحدث من لاقيت انك عائذ ... بل العائذ المظلوم في سجن عارم

وكان يهوى عزة بنت حميد بن وقاص ومن كثرة نسيبه فيها نسب اليها على انه كان يقال انه كاذب الشعر وجميل صادقه واقول ان اشعاره تشهد بخلاف ذلك خصوصاً التائية المعروفة

التي اولها :

خليلي هذا رسم عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وما كنت ادري قبل عزة ما البكا

ولا موجعات النفس حتى تولت

فليت قلوصي عند عزة قيدت ... بحبل ضعيف بان منها فضلت

فقلت لها يا عز كل مصيبة ... اذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

ومما يشجي منها قوله لها وقد كلفها زوجها ان تقف بباب الخباء وتناديه وتشتمه وتشتم اباه ففعلت ذلك على كره لانها كانت تحبه كما يحبها فقال :

اسيئي بنا او احسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية ان تقلت

يكلفها الخنزير شتمي وما بها ... هواني ولكن للمليك استذلت

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر ... لعزة من اعراضنا ما استحلت

تمنيتها حتى اذا ما رأيتها ... رأيت المنايا شرعاً قد اظلت

كأني انادي صخرة حين اعرضت

من الصم لو تمشي بها العصم زلت

صفوحاً فما تلقاك الا بخيلة ... فمن مل منها ذلك الوصل ملت

وهي طويلة لم يذكر ابو الفرج منها الا هذا المقدار وكلها

التزام ما لا يلزم باللام الا بيت واحد وهو قوله :

اصاب الردى من كان يهوى لك الردى
وجن اللواتي قلن عزة جنت

وعندي ان هذا التزام يلزم لان التاء هنا ضمير والضمير لا يكون قافية فان وقع قليلا ولكن جعل التاء من الضماير قافية اكثر من غيره ومع ذلك لا يوجد في شعر الفصحاء من المخضرمين او المولدين كما ان تائية الاعرابي التى مرت في ترجمة اسحق الموصلي كلها نونية قبل التاء الا بيتاً او بيتين

ومن محاسنه قوله وقد سلمت على جمله :

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت
فحي ويحك من حياك ياجمل

لو كنت حييتها ما زلت ذامقة
عندى وما ضرك الادلاج والعمل

ليت التحية كانت لي فاشكرها
فكان يا جمل حييت يا رجل

وقوله :

نظرت اليها نظرة وهي عاتق
على حين ان شبت وبان نهودها

نظرت اليها نظرة ما يسرني
بها حمر انعام البلاد وسودها

وكنت اذا ماجئت سعدى ازورها
اری الارض تطوي لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها
اذا ما انقضت احدوثة او تعيدها

ولما اراد عبدالملك الخروج الى حرب مصعب بن الزبير لاذت به زوجته عاتكة ابنة يزيد بن معاوية وجعلت تبكي هي وجواريها وتقول له لا تخرج الى حرب آل الزبير فقال قاتل الله ابن ابي جمعة كثير حيث يقول:

اذا ما اراد الغزو لم يثن عزمه حصان عليها عقد در يزينها
نهته فلما لم تر النهي عاقه بكت فبكى مما شجاه قطينها

ثم روى ان كثير بن عبدالرحمن «يعني كثير عزة» كان غالياً في التشيع واخبر عن قطام صاحبة ابن ملجم فاراد الدخول عليها ليوبخها فقيل له لا تزرها فان لها جواباً حاضراً فأبى واتاها فقرع بابها فقالت من هذا؟ فقال كثير الشاعر فأذنت له ودخل وتنحت من بين يديه فقال لها انت قطام صاحبة علي بن أبي طالب عليه السلام قالت صاحبة ابن ملجم قال أليس فيك قتل علي عليه السلام؟ قالت بل مات بأجله قال

اما والله لقد كنت احب ان اراك فلما رأيتك نبت عيني عنك فما احلوليت فى خلدي . قالت : والله انك لقصير القامة عظيم الهامة قبيح المنظر وانك لكما قال الاول : تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فقال :

رأت رجلا اودى السفار بوجهه
فلم يبق إلا منظر وجناجن
فان أك معروق العظام فانني
اذا وزن الاقوام بالقوم وازن
واني لما استودعتني من امانة
اذا ضاعت الأسرار للسر دافن

فقالت انت لله ابوك كثير عزة قال نعم قالت الحمد لله الذي قصر بك فصرت حتى لا تعرف الا بامرأة فقال الامر كذلك فوالله لقد سار بها شعري وطال بها ذكري وقرب من الخلفاء مجلسي وانها لكما قلت :

من الخفرات البيض لم تر شقوة
وفي الحسب المكنون باد نجارها
فان خفيت كانت لعينيك قرة
وان تبد يوماً لم يعمك عارها

وما روضة بالحزن طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من اردان عزة موهنا
اذا اوقدت بالمندل الرطب نارها

فقالت تالله ما رأيت شاعراً قط انقص منك عقلا ولا أضعف وصفاً اين انت من سيدك امرؤالقيس حيث يقول :

ألم ترياني كلما جئت طارقاً   ارى عندها طيباً وان لم تطيب

فخرج وهو يقول :

الحق ابلج لا يحيل سبيله   والحق يعرفه ذوو الألباب

السيد اسماعيل الحميري

قال الفرزدق ان ههنا رجلين لو اخذا في معنى الناس لما كنا معهما في شيء . . السيد الحميري وعمران بن حطان ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول في مذهبه . كان كيسانيا وصار آخر امره اماميا وقال :

أيا راكباً نحو المدينة جسرة   عذافرة تهوى بها كل سبسب
اذا ما هداك الله لاقيت جعفرا   فقل يا أمين الله وابن المهذب

وجلس الى قوم فجعل ينشدهم وهم يلغطون فقال :

قد ضيع الله ما جمعت من ادب　　بين الحمير وبين الشاء والبقر
لا يسمعون الى قول اجيء به　　وكيف تستمع الانعام للبشر
أقول ما سكتوا انس فان نطقوا
قلت الضفادع بين الماء والشجر

ومن رقيق نسيبه قوله :

ما جرت خطرة على القلب مني　　فيك إلا استترت عن اصحابي
من دموع تجري فان كنت وحدي
خاليا اسعدت دموعي انتحابي
انحي اياك قد سل جسمي　　ورماني بالشيب قبل الشباب

وقد قصر مدائحه على بني هاشم فلم يمدح سواهم مدة عمره فمدح بني العباس لدنياه وبني علي عليه السلام لدينه وأشار الى ذلك في قصيدة يمدح بها المنصور لما بايع لابنيه موسى وهرون وأولها :

ما بال مجرى دمعك الساجم　　أمن قذى بات بها لازم
أم من هوى انت لها ساهر　　صبابة من قلبك الهائم
آليت لا امدح ذا نائل　　من معشر غير بني هاشم

اوليتهم عنـدي يد المصطفى ذي الفضل والمن ابي القاسم
فانهـا بيضـاء محمودة جزاؤها الشكر على العـالم
جزاؤهـا حفظ ابي جعفر خليفـة الرحمن والقائم

السيد الحميري :

اسمه اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ابي ربيعة المفرغ ولقبه السيد وجده يزيد بن ربيعة شاعر مشهور وهو الذي هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن الحرب وحبسه عبيدالله بن زياد وعذبه معاوية وخبره طويل قد مر عليك

والسيد من الشعراء الثلاثة الذين لم يقدر احد على جمع شعرهم اجمع والآخران بشار وابو العتاهية ولا يعرف للسيد شعر كثير وانما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب الصحابة وازواج النبي ويكثر من الطعن عليهم والقذف فيهم فهجره الناس تخوفاً . على ان له طراز في الشعر ومذهبا قلما يلحق فيه او يقاربه احد وليس يخلو شعره من مدح بني هاشم او ذم غيرهم ممن هو عنده ضد لهم . يقول ابو الفرج ونحن لانجد بداً من ذكر اسلم اشعاره واخلاها من سيىء اختياره على قلته . وكان ابواه اباضيين من الخوارج ومنزلهم في البصرة ولما علما بمذهبه هما بقتله فاستجار

بعقبة بن مسلم الهناء فاجاره واعطاه داراً وهبهاله. وكان يقول مشيرا الى دار ابيه: طالما سب امير المؤمنين في هذه الغرفة. وكان اذا سئل عن التشيع قال غاصت علي الرحمة غوصاً. وكان اسمر تام الخلقة اشنب ذا وفرة حسنة، حسن الالفاظ شهي المحادثة يعطى كل جليس نصيبه ولكن كان انتن الابطين لايقدر احد الجلوس الى جنبه من رائحتها. وكان ابو عبيدة يقول: اشعر المحدثين السيد وبشار وكان الاصمعي يقول: قاتله الله ما اطبعه واسلكه لسبيل الشعراء لولا ما في شعره من سب السلف لما تقدمه فى طبقته احد. وقال السيد رأيت النبي (ص) في المنام وكأنه في حديقة سبخة فيها نخل طوال والى جانبها ارض كأنها الكافور ليس فيها شيء فقال لي (ع) اتدري لمن هذا النخل قلت لا. قال: لامرىء القيس بن حجر فاقلعها واغرسها في هذه الارض ففعلت واتيت ابن سيرين فقصصتها عليه فقال اتقول الشعر قلت لا قال اما انك ستقول مثل شعر امرىء القيس الا انك تقول فى قوم بررة اطهار قال فما انصرفت الا وانا اقول الشعر. وحدث الموصلي عن عمه قال: جمعت من شعر السيد في بنى هاشم الفين

وثلاثمائة قصيدة نخلت اني قد استوعبت شعره حتى جلس الي يوما رجل رث الهيئة والاطمار فسمعني انشد شيئاً من شعره فانشدني ثلاث قصائد له فيهم لم تكن عندي فقلت في نفسي لو انه علم ماعندي وانشدني غيره لكان عجباً فكيف وهو لايعلم وانما انشد على رسله ماحضره فعلمت انشعره لا يدرك ولا يمكن جمعه وانشد غانم الوراق لجماعة من العرب شعر ذي الرمة وجرير وغيره فعرفوه ثم انشدهم للسيد قوله :

اتعرف رسما بالقويين قد دثر عفته اهاضيب السحائب والمطر
وجرت به الاذيال ريحان خلفه صبا ودبور بالعشيات والبكر
منازل قــد كانت تكون بجوها
هظيم الحشا ريا الشوى سحرها النظر
قطوف الخطى خمصانة بخترية كان محياها سنا دارة القمر
رمتني ببعد بعد قرب بها النوى
فبانت ولما اقض من عبدة الوطر
ولما رأتني خشية البين موجعا
اكفكف مني ادمعا بيضها درر
اشارت باطراف الي ودمعها كنظم جمان خانه السلك فانتثر

وقد كنت مما احدث البين حاذرا

فلم يغن عني منه خوفي ولا الحذر

وقال في السفاح حين استقام له الامر .

دونكموها يابني هاشم فجددوا من عهدها الدارسا

دونكموها لا على كعب من كان عليكم ملكها نافسا

دونكموها فالبسوا تاجها لا تعدموا منكم لها لابسا

ولو خير المنبر فرسانه ما اختار الا منكم فارسا

قد ساسها قبلكم ساسة لم يتركوا رطبا ولا يابسا

ولست من ان تملكوها الى مهبط عيسى فيكم ايسا

ودخل على الامام الصادق (ع) فاستنشده واجلس الحرم خلف الستر فقال :

مررت على جدث الحسين فقل لاعظمه الزكية

يا اعظما لازلت من وطفاء ساكبة روية

واذا مررت بقبره فاطل به وقف المطية

وابك المطهر للمطهر والمطهرة التقية

كبكاء معولة اتت يوما لواحدها المنية

فانحدرت دموع الامام (ع) على خديه وارتفع الصراخ

والبكاء من داره حتى امره بالامساك فامسك قال علي بن اسماعيل التميمي عن ابيه انه قال ويلي على الكيساني الفاعل بن الفاعل يقول :

واذا مررت بقبره فاطل به وقف المطية

قلت يا أبت فما يقول : قال الا يقتل نفسه ثكلته امه .

ودخل السيد على المهدي العباسي وهو يعطي قريشاً صلاتهم وبدأ ببني هاشم فرفع اليه رقعة مختومة وقال ان فيها نصيحة للامير ففتحها واذا فيها :

قل لابن عباس سمي محمد	لا تعطين بني عدي درهما
احرم بني تيم بن مرة انهم	شر البرية آخراً ومقدما
ان تعطهم لا يشكروا لك نعمة	ويكافئوك بأن تذم وتشتما
وان ائتمنتهم أو استعملتهم	خانوك واتخذوا خراجك مغنما
ولئن منعتهم لقد بدأوكم	بالمنع اذ ملكوا وكانوا أظلما
منعوا تراث محمد اعمامه	وبنيه وابنته عديلة مريما
وتآمروا من غير ان يستخلفوا	وكفى بما فعلوا هنالك مأثما
لا يشكروا لمحمد انعامه	أفيشكرون لغيره إن انعما
والله من عليهم بمحمد	وهداهم وكسا الجنوب واطعما

ثم انبروا لوصيه ووليه		بالمنكرات فجرعوه العلقما

قال أبو الفرج وهي طويلة حذف باقيها لقبح ما فيه ثم قطع المهدي عطاءهم واودع عند عمر ابن حفص مهراً وتقدم اليه في حسن رعايته وعدم ركوبه فلما قدم من سفره وجد المهر قد ركب حتى دبر ظهره وعجف عن القيام فقال فيه من أبيات:

قد كان لي في اسمه عنه وكنيته		لو كنت معتبراً ناه ومعتبر

فكيف ينصحني أو كيف يحفظني		يوماً اذا غبت عنه واسمه عمر

وكان كيسانياً يقول بمقالتهم من ان محمد بن الحنفية امام وهو المهدي المنتظر وله في ذلك أشعار كثيرة منها الابيات المشهورة وهي:

الا ان الأئمة من قريش		ولاة الحق اربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه		هم اسباطه والاوصياء

فاني في وصيته اليهم		يكون الشك منا والمراء

فسبط سبط ايمان وحلم		وسبط غيبته كربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى		يقود الخيل تقدمها اللواء

قال أبو الفرج وقد روى بعض من لم تصح روايته انه رجع عن مذهبه وقال بمذهب الامامية وله في ذلك :

تجعفرت باسم الله والله اكبر وأيقنت أن الله يعفو ويغفر

وما وجدنا ذلك في رواية محصل ولا شعره أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب لأن هذا شعر ضعيف يتبين التوليد فيه وشعره في قصائده الكيسانية مباين لهذا جزالة ومتانة . ثم روى بسنده عن جماعة تذاكروا أمر السيد وانه رجع وقال بامامة جعفر بن محمد (ع) فقال ابن الساحر راويته والله ما رجع ولا القصايد الجعفريات إلا منحولة له قيلت بعده وآخر عهدي به قبل موته بثلاث وآخر شعره قوله من قصيدة وهي آخر قصائده أولها :

أشاقتك المنازل بعد هند وتربيها وذات الدل دعد

الى أن قال :

ألم يبلغك والانباء تنمى مقال محمد فيما يؤدي
الى ذي علمه الهادي علي وخولة خادم في البيت تردى
ألم تر أن خولة سوف تأتي بواري الزند صافي الخيم نجد
يفوز بكنيتي واسمي لأني نحلتهما هو المهدي بعدي

يغيب عنهم حتى يقولوا	تضمنه بطيبة بطن لحد
سنين واشهراً ويرى برضوى	بشعب بين أنمار واسد
حلفت برب مكة والمصلى	وبيت طاهر الاركان فرد
لقد كان ابن خولة غير شك	صفاء ولايتي وخلوص ودي
فما أحد أحب الي فيما	أسر وما أبوح به وأبدي
سوى ذي الوحي أحمد اوعلي	ولا أزكى وأطيب منه عندي
ومن ذا يابن خولة ان رمتني	باسهمها المنية حين وعدي
يذب عنكم ويسد مما	تثلم من حصونكم كسدي
وادرك دولة لك لست فيها	بجبار فتوصف بالتعدي
على قوم بغوا فيكم علينا	لتعدى منكم يا خير معدي
وأنت لمن بغى وعدا وأذكى	عليك الحرب فاستر داك مردي

أقول وقد ثبت من طرقنا ان السيد استبصر ورجع الى الحق ولولا ان هذا غرض لا يهمنا وأمر لا يعنينا ونحن في غنى عنه لأثبتنا ذلك وأجبنا عما اسند اليه أبو الفرج على ان كلامه لا يخلو عن ميل الى العصبية وإلا فهو قد ذكر له شعراً كثيراً أرك وأوهى من ذلك البيت بمراتب كأبيات كثيرة من الدالية السابقة مما ذكرناه وأهملناه . وأغلب شعر

السيد من شدة وضوحه وعدم التعقيد فيه يرى كأنه محلول ركيك وأبو الفرج وغيره ذكروا ان جميع شعره مولد وان السيد من المولدين وانه قيل له: مالك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء . قال : لأن أقول شعراً قريباً من القلوب يلذه من سمعه خير من أن أقول متعقداً تضل فيه الافهام على أن ليس جميع الجعفريات كهذا البيت والحاصل ان السيد كأنه من المتفق عليه كونه من أهل الجنة وأنه قد نجا بحب علي (ع) وذكر أبو الفرج روايات كثيرة في هذا المعنى منها عن فضيل الرسان قال دخلت على جعفر بن محمد (ع) اعزيه عن عمه زيد ثم أنشدته قول السيد :

والناس يوم البعث راياتهم خمس فمنهـا هالك اربع
قائدها العجل وفرعونه وسامري الامة المفظع
ومارق من دينه مخرج اسود عبد لكع اوكع
وراية قائـدها وجهه كأنه الشمس اذ تطلع

فسمعت نحيباً من وراء الستور وسألني عن السيد فقلت توفي فقـال رحمه الله فقلت جعلت فداك اني رأيته يشرب الخمر فقال وما ذنب على الله ان يغفره لآل علي (ع) انمحب

علي لا تزل له قدم إلا ثبتت له اخرى . وذكره الامام (ع) يوماً فترحم عليه وقال ان زلت له قدم ثبتت الاخرى وروى ان محمد بن عباد بن صهيب قال : كنت عند الصادق فأتاه نعي السيد فدعا له وترحم عليه فقال رجل يابن رسول الله تدعو له وهو يؤمن بالرجعة فقال (ع) حدثني أبي عن جدي ان محبي آل محمد لا يموتون إلا تائبين وقد تاب ورفع مصلاه واخرج كتاباً من السيد انه قد تاب ويسأله الدعاء له ثم ذكر أبو الفرج بعد هذه عن العتبي ان السيد عاش الى زمان هرون الرشيد وانه مدحه بقصيدتين وكأنه يريد بهذا القدح في تلك الرواية ولكن روايتا الفضيل الرسان ومحمد ابن عباد السابقتان ينافيان هاتين الروايتين معاً فالروايات متعارضة فيه والقدر المتيقن ما نقله في آخر ترجمته من خبر وفاته وهو وارد أيضاً من طرقنا عن جماعة قالوا حضرناه جميعاً وانه ليتحسر تحسراً شديداً وان وجهه لأسود كالقار وما يتكلم الى ان أفاق افاقة وفتح عينيه فنظر الى ناحية القبلة ثم قال فتجلى والله في جبينه عرق بياض فما زال يتسع ويلبس وجهه حتى صار كله كالبرد وتوفى فأخذنا في جهازه

ولما علم الكوفيون وافاه سبعون كفن، وعلى هذا؛ فرحمة الله ورضوانه عليه ولا خذل الله من لم يزل ناصر الحق بلسانه ويديه . ولنعد الى ذكر المختار من اشعاره المذكورة في الكتاب على قلتها منها قوله في مدح أمير المؤمنين :

هل عند من احببت تنويل | أم لا فان اللوم تضليل
أم في الحشى منك جوى باطل | ليس تداويه الا باطيل
علقت يا معروف خداعة | بالوعد منها لك تخييل
رياد داح النوم خمصانة | كأنها ادماء عطبول
يشفيك منها حين تخلو بها | ضم الى النحر وتقبيل
وذوق ريق طيب طعمه | كأنه بالمسك معسول
في نسوة مثل المها خرد | تضيق عنهن الخلاخيل

ويقول منها :

أقسم بالله وآلائه | والمرء عما قال مسؤول
ان علي بن ابي طالب | على التقى والبر مجبول

وله من اخرى :

اذا أنا لم أحفظ وصاة محمد | ولا عهده يوم الغدير المؤكدا
فاني كمن يشري الضلالة بالهدى | تنصر من بعد التقى وتهودا

ومالي وتيم أو عدى وانما اولو نعمتي في الله من آل احمدا
تتم صلاتي بالصلاة عليهم وليست صلاتي بعد أن أتشهدا(١)
بكاملة إن لم أصل عليهم وادع لهم رباً كريماً ممجداً
وان امرءاً يلحي على صدق ودهم
أحق وأولى فيهم ان يفندا

وجلس مع جماعة فخاضوا في ذكر النخل والزرع ساعة فنهض وهو يقول :

اني لأكره ان أطيل بمجلس لا ذكر فيه لآل محمد
ان الذي يتساءم في مجلس حتى يفارقه لغير مسدد

وقال :

سائل قريشاً اذا ما كنت ذا عمه
من كان اثبتها في الدين أوتادا
من كان أعلمها علماً وأحلمها حلماً وأصدقها قولاً وميعادا
ان يصدقوك فلن يعدوا أبا حسن
ان أنت لم تلق للابرار حسادا

وله في مورد :

وصفت لك الحوض يا بن الحصين على صفة الحارث الاعور

---

(١) لا يخفى ركاكة هذين البيتين

فان تسق منه غداً شربة تفز من نصيبـك بالاكبر
فمالي ذنب سوى انني ذكرت الذي فر عن خيبر
ذكرت امرءاً فرعن مرحب فرار الحمار من القسور
فانكر ذاك جليس لكم زنـيم أخو خلق أعور
لحاني بحب امام الهدى وفاروق امتنا الاكبر

وسمع محدثاً يحدث: ان النبي (ص) كان ساجداً فركب الحسنان على ظهره فقال عمر نعم المطي مطيكما فقال النبي (ص) ونعم الراكبان هما فقال السيد من فوره:

أتى حسن والحسين النبي وقد جلسا حجره يلعبان
ففداهما ثم حياهما وكانا لديه بذاك المكان
فراحا وتحتهما عاتقاه فنعم المطية والراكبان
وليدان امهما برة حصان مطهرة للحصان
وشخصهما ابن ابي طالب فنعم الوليدان والوالدان
خليلي لا ترجيا واعلما بأن الهدى غير ماتزعمان
وان عمى الشك بعد اليقين وضعف البصيرة بعد العيان
ضلال فلا تلججا فيهما فبئست لعمركما الخصلتان
ايرجى علي امام الهدى وعثمان ما أعند المرجيان

ويرجى ابن حرب وأشياعه وهوج الخوارج في النهروان
يكون امامهم في المعاد خبيث الهوى مؤمن الشيصبان

وخرج أهل البصرة يستسقون وهو معهم فقال :

اهبط الى الارض فخذ جلمدا ثم ارمهم يا مزن بالجلمد
لا تسقهم من مسيل قطرة فانهم حرب بني أحمد

وله مع سوار قاضي المنصور في البصرة منازعات ومجادلات ومباغضة ، وسوار هو ابن عبدالله العنزي لقبوا بذلك لأن أحد اجدادهم سرق عنز النبي (ص) وهو من بني تميم الذين نادوا رسول الله من وراء الحجرات فنزلت فيهم الآية وكان سوار يتربص الدوائر لحبسه أو قتله فشكاه السيد الى المنصور وهجاه فقال :

يا أمين الله يا منصور يا خير الولاة
ان سوار بن عبد الله من شر القضاة
نعثلي جملي لكم غير موات جده سارق عنز فجرة من فجرات
لرسول الله والقاذفه بالمنكرات
وابن من كان ينادي من وراء الحجرات

يا هناة اخرج الينا اننا اهل هناة

فا كفنيه لا كفاه الله شر الطارقات

فنمعه عن التعرض له فأكثر من هجاء سوار فشكاه الى المنصور فأمر السيد أن يعتذر منه ففعل فلم يعذره فقال :

أتيت دعي بني العنــبر أروم اعتذاراً فلم يعذر

فقلت لنفسي وعاتبتهــا على اللوم في فعلها اقصري

أبوك ابن سارق عنز النبي وامك بنت أبي جحــدر

ونحن على رغمك الرافضون لأهل الضلالة والمنكـر

ولما مات سوار اتفق ان قبره موضع كنيف فقال يهجوه :

يا من غدا حاملا جثمان سوار من داره ظاعناً منها الى النار

لا قدس الله روحاً كان هيكلها فقد مضت بعظيم الخزي والعار

حتى هوت قعر برهوت معذبة وجسمه في كنيف بين اقذار

فاذهب عليك من الرحمن بهلته يا شر حي براه الخالق الباري

لقد رأيت من الرحمن معجبة فيه واحكامه تجري بمقدار

واجتمع مع امرأة اباضية تميمية فأعجبته وقالت اريد أن أتزوج بك فمن أنت فقال :

ان تسأليني بقومي تسألي رجلا في ذروة العز من أحياء ذي يمن

حولي بها ذو كلاع في مبازلها وذو رعين وهمدان وذو يزن
ثم اولاء الذي ارجو النجاة به من كبة النار للهادي ابي حسن

ثم قالت قد عرفناك ولا شيء أعجب من هذا يمان وتميمية ورافضي واباضية فكيف يجتمعان فقال يحسن رأيك في وتسخو نفسك ولا نذكر نسباً ولا مذهباً ثم قال فأنا اعرض عليك اخرى وهي المتعة قالت تلك اخت الزنا فقال اعيذك ان تكفري بالقرآن بعد الايمان فان الله تعالى قال فما استمتعتم به منهن فأتوهن اجورهن فريضة « الآية » فقالت اقلدك ان كنت صاحب قياس وبات معها معرساً انتهى خبره .

اخبار دعبل بن علي ونسبه

نسبه الى عمرو بن عامر بن مزيقيا يكنى ابا علي شاعر متقدم مطبوع هجاء لم يسلم عليه احد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا اولادهم ولا ذو نباهة احسن او لم يحسن ولا فلت منه كبير احد وكان شديد التعصب على النزارية للقحطانية وقال قصيدة يرد فيها على الكميت ويناقضه

في قصيدته المذهبة التي هجا فيها قبائل اليمن فرأى النبي (ص) فنهاه عن ذكر الكميت بسوء . وناقضه ابو سعد المخزومي وهاجاه وتطاول الشعر بينهما فخافت بنو مخزوم لسان دعبل بان يعمهم بالهجاء فنفوا ابا سعد عن نسبهم واشهدوا بذلك على انفسهم وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل الى علي [ع] وقصيدته :

مدارس آيات خلت من تلاوة

من احسن الشعر وفاخر المديح المقولة في اهل البيت (ع) وقصد بها ابا علي بن موسى الرضا عليه السلام فاعطاه عشرة الاف من الدراهم المضروبة باسمه وخلع عليه خلعة من ثيابه فاعطاه بها اهل قم ثلاثين الف درهم فلم يبعها فقطعوا عليه الطريق فاخذوها فقال انما تراد لله عز وجل وهي محرمة عليكم فطلبوا بيعها فحلف لا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون في كفنه فاعطوه فردكم فكان في كفنه وكتب قصيدته (مدارس آيات) على ثوب واحرم فيه وأمر بأن يكفن فيه . ولم يزل مرهوب اللسان من هجائه للخلفاء فهو دهره كله هارب

متواري . قال ابراهيم بن المهدي للمأمون قولا في دعبل يحرضه عليه فضحك المأمون وقال إنما تحرضني عليه لقوله فيك:

يامعشر الاجناد لاتقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطون حنينية يلتذها الامرد والاشمط
والمعبديات لقوادكم لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق اجناده خليفة مصحفه البربط

فقال له قد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين فقال دع عنك هذا فقد عفوت عنه في هجائه لي لقوله هذا ، ثم دخل أبو عباد فلما رآه المأمون من بعد ضحك وقال : دعبل يجسر على أبي عباد بالهجاء ويحجم عن أحد . فقال ابراهيم اوكان أبو عباد أبسط منك يداً قال لا ولكنه حديد جاهل لا يؤمن وأنا أحلم وأصفح والله ما رأيت أبا عباد إلا أضحكني قول دعبل فيه :

اولى الامور بضيعة وفساد أمر يدبره أبو عباد
وكأنه من دير هرقل مفلت حرد يجر سلاسل الاقياد
خرق على جلسائه فكأنهم حضروا الملحمة ويوم جلاد
يسطو على كتابه بدواته فمضمخ بدم ونضح مداد

وقال ابن المدبر لدعبل أنت أجسر الناس عندي حيث تقول في المأمون :

اني من القوم الذين سيوفهم قتلت أباك وشرفتك بمقعد

رفعوا محلك بعـــد طول خموله

واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال يا أبا اسحق أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبني عليها

أقول وهو مولع بالهجاء وا كثر هجائه وأشده في الخلفاء والوزراء والاكابر . وكان المعتصم يبغضه لطول لسانه وبلغ انه يريد اغتياله فهرب الى الجبل وقال يهجوه :

بكى لشتات الدين مكتئب صب

وفاض بفرط الدمع من عينه غرب

وقام امام لم يكن ذا هداية فليس له دين وليس له لب

وما كانت الانباء تأتي بمثله يملك يوماً أو تدين له العرب

ولكن كما قال الذين تتابعوا من السلف الماضين اذ عظم الخطب

ملوك بني العباس في الكتب سبعة

ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب

كذلك اهل الكهف في الكهف سبعة
خيار اذا عدوا وثامنهم كلب
واني لأعلي كلبهم عنك رفعة لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس أمرهم
وصيف واشناس وقد عظم الكرب

ولما مات المعتصم قال ابن الزيات يرثيه :

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا في خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله امة فقدت مثلك الا بمثل هارون

فعارضه دعبل وقال :

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا في شر قبر لشر مدفون
اذهب الى النار والعذاب فما خلتك الا من الشياطين
لا زلت حتى عقدت بيعة من أضر بالمسلمين والدين

وبلغه وهو بالصيمرة نعي المعتصم وقيام الواثق فقال :

الحمد لله لا صبر ولا جلد ولا عزاء اذا اهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر قام لم يفرح به أحد

وقال في المتوكل يرميه بالابنة :

ولست بقائل قذعاً ولكن لأمر ما تعبدك العبيد

ولما ولي أحمد بن ابي خالد الوزارة ايام المامون قال دعبل يهجوه :

وكان ابو خالد مرة اذا بات متخما قاعدا
يضيق بأولاده بطنـــه فيخراهم واحدا واحدا
فقد ملأ الارض من سلحه خنافس لا تشبه الوالدا

وقال في ابن ابي دؤاد :

ان هذا الذي دؤاد ابوه واياد قد اكثر الابناء
ساحقت امه ولاط أبوه ليت شعري عنه فمن اين جاه
جاء من بين صخرتين صلودين عقامين ينبتان الهباء
لا سفاح ولا نكاح ولاما يوجب الامهات والآباء

ومن مشهور شعره قوله يمدح اهل البيت عليهم السلام ويهجو الرشيد :

وليس حي من الاحياء نعلمه من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
الا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك ايسار على جزر
قتل وأسر وتحريق ومنهبة فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى امية معذورين ان قتلوا ولا ارى لبني العباس من عذر
اربع بطوس على قبر الزكي اذا ما كنت تربع من دين الى وطر

قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر (١)

ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا

على الزكي بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرىء رهن بما كسبت

له يداه نخذ ما شئت او فذر

ولما بويع ابراهيم بن المهدي ببغداد وقد قل المال عنده وكان قد لجأ اليه اعراب من اعراب السواد وغيرهم من اوغاد الناس فاحتبس عنهم العطاء وجعل ابراهيم يسوفهم الى ان خرج اليهم رسوله يوماً وقد اجتمعوا وضجوا فصرح لهم بأنه لا مال عنده فقال قوم من غوغاء أهل بغداد اخرجوا الينا خليفتنا ليغني لأهل هذا الجانب ثلاثة اصوات ولأهل ذاك الجانب ثلاثة اصوات فتكون عطاء لهم فقال دعبل :

« يامعشر الاجناد لاتسخطوا .. » الابيات المتقدمة بزيادة :

بيعة ابراهيم مشؤومة يقتل فيها الخلق اويقحطوا

وقال فيه ايضاً :

علم وتحكيم وشيب مفارق تطمين ريعان الشباب الرائق

(١) يعني قبر الرشيد وقبر الرضا (ع)

وامارة في دولة ميمونة ... كانت على اللذات اشغب عائق
انى يكون وليس ذاك بكائن ... يرث الخلافة فاسق عن فاسق
ان كان ابراهيم مضطلعاً بها ... فلتصلحن من بعده لمخارق

ولما قرأها المأمون ضحك وقال : قد صفحت عن كل ما هجاني به اذ قرن ابراهيم بمخارق في الخلافة وجعله ولي عهده . وكان دعبل يختلف الى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الاشعث ليؤدبه فظهر له منه جفاء وبلغ دعبل انه ينال منه . فقال يهجوه :

ان عابني لم يعب الا مؤدبه ... ونفسه عاب لما عاب ادابه
فكان كالكلب ضراه مكلبه ... لصيده فعدا واصطاد كلابه

اقول : واما اهاجيه في ابي سعد المخزومي وغيره من الشعراء وسائر الناس فهي كثيرة وفي غاية القذع والبذاءة والفحش وان تلك الجنايات والسيئات مما تحطها القرب وتكفرها الحسنات فان اخلاصه في مدائح اهل البيت سلام الله عليهم اكبر كفارة له فانها تدل على ايمان صحيح وولاء خالص فقد روى المروزي عنه قال : دخلت على علي بن موسى الرضا عليهما السلام فقال لي انشدني شيئاً مما احدثت فانشدته :

مدارس ايات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

حتى انتهيت الى قولي :

اذا وتروا مدوا الى واتريهم اكفاً عن الاوتار منقبضات

قال فبكى حتى اغمي عليه واومأ خادم كان على رأسه ان اسكت فسكت ساعة ثم قال لي اعد فاعدت حتى انتهيت الى البيت فاصابه الذي اصابه المرة الاولى فاومأ الخادم بالسكوت فسكت ساعة ثم قال : اعد فاعدت فاصابه مثل ذلك وانتهيت في الثالثة الى آخر القصيدة فقال لي احسنت ثلاثا ثم امر لي بعشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه وأمر لي من في منزله بحلي كثير اخرجه الي الخادم فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة دراهم اشتراها مني الشيعة فحصل لي مئة الف درهم واستوهب الرضا عليه السلام ثوبا قد لبسه ليجعله في اكفانه فخلع جبة كانت عليه واعطاها له وبلغ اهل قم خبرها فسألوه ان يبيعهم اياها بثلاثين الف درهم فلم يفعل فخرجوا عليه في طريقه فاخذوها منه غصباً وقالوا ان شئت ان تأخذ المال فافعل والا فانت اعلم فقال لهم اني والله لااعطيها طوعاً ولا تنفعكم غصبا واشكوكم الى الرضا [ع] فصالحوه على اعطاء الثلاثين الف وفرد كم منها فرضي . قيل

ان اسمه محمد وكنيته ابو جعفر ، ودعبل لقب به، وهو البعير المسن او الناقة التي معها ولدها وكان أبوه علي بن رزين ايضاً شاعراً هجاء" وهو القائل:

اقول لما رايت الموت يطلبني   ياليتنى درهم في كيس مياح
فيا له درهم طالت صيانته   لا هالك ضيعة يوماً ولا ضاحي

وكان دعبل يقول :

انا ابن قولي : (اين الشباب واية سلكا
لا اين ولي ضل او هلكا)

لاتعجبي يا سلم من رجل   ضحك المشيب برأسه فبكى
ياليت شعري كيف نومكما   يا صاحبي اذا دمي سفكا
لاتاخذوا بظلامتي احدا   قلبي وطرفي في دمي اشتركا

قال الحمدوي وسمعت ابا تمام يقول : انا ابن قولي:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الاول

قال الحمدوي وانا ابن قولي في الطيلسان:

طال ترداده الى الرفو حتى   لو بعثناه وحده لتهدى

ومعنى قولنا انا ابن قولي اي اني به عرفت. واخذ دعبل قوله :

(ضحك المشيب برأسه فبكى) من مسلم بن الوليد في قوله :

مستعبر يبكي على دمنة ورأسه يضحك فيه المشيب

وابن الوليد اخذه من الحسين بن مطير الاسدي :

كل يوم باقحوان جديد تضحك الارض من بكاء السماء

وقد اطنب ابو الفرج واطال في نقل اخبار دعبل واشعاره واهاجيه وما هجي به وفيما ذكرناه كفاية

وذكر في سبب موت دعبل انه كان قد هجى مالك بن طوق وفر الى الاهواز فبعث مالك رجلا مقداما ليغتاله فضرب ظهر قدمه بعكاز فيها زج مسموم فمات وحمل الى قرية يقال لها السوس فدفن فيها .

اخبار النمرى

وهو منصور بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الكبش

الرخم بن مبعد الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله ابن النمر بن قاسط بن جديله بن اسد بن ربيعة بن نزار وقد حذفنا بعض النسب كما هو عادتنا غالباً ان لا نذكر الا المشاهير من اجداد الرجل وانما سمي عامر الضحيان لأنه كان سيد قومه وحاكمهم وكان يجلس اذا اضحى النهار فسمي الضحيان وسمي جد منصور مطعم الكبش الرخم لأنه أطعم اناساً نزلوا به فنحر لهم ثم رفع رأسه فاذا رخم يحمن حول اضيافه فأمر ان يذبح لهم كبش ويرمى بين ايديهم ففعل ذلك و نزلن فمزقنه فسمي بذلك وفي ذلك يقول ابو نعيجة النمري يمدح رجلا منهم :

ابوك زعيم بني قاسط وخالك ذو الكبش يقري الرخم

وكان منصور شاعراً مترسلا من شعراء العباسية من أهل الجزيرة وهو تلميذ العتابي وصفه الفضل بن يحيي وقرضه حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه ووصله بالرشيد . وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة حتى تهاجرا وسعى كل منهما على هلاك صاحبه حتى ان منصوراً شكى العتابي عند طاهر بن الحسين فوجه الى العتابي فأحضره واخفى النمري

قريباً منها وسأل طاهر العتابي ان يصفح عن النمري فشكا سوء فعله وقال لا يستحق الصفح فخرج النمري وقال له لم لا استحق هذا منك فقال العتابي :

اصحبتك الفضل اذ لا أنت تعرفه
حقاً ولا لك في استصحابه ارب

لم ترتبطك على وصلي محافظة ... ولا اعاذك مما اغتالك الادب
ما من جميل ولا عرف نطقت به ... إلا الي وان انكرت تنتسب

وكان سبب ما وقع بينهما ما حدث به المنصور بن جهور قال: سألت العتابي عن سبب غضب الرشيد عليه فقال استقبلت النمري يوماً فرأيته مغموماً واجماً كئيباً فقلت ما خبرك فقال تركت امرأتي تطلق وقد عسر عليها ولادها وهي يدي ورجلي والقيمة بأمري فقلت له لم لا تكتب على فرجها هرون الرشيد قال ليكون ماذا ؟ فقلت لتلد على المكان قال وكيف قلت لقولك :

ان اخلف الغيث لم تخلف مخايله ... اوضاق أمر ذكرناه فيتسع

فقال يا كشخان والله لأذكر قولك هذا للرشيد فلما ولدت امرأته اخبر الرشيد بما كان بيننا فغضب لذلك وأمر بطلبي

فاستترت عند الفضل بن الربيع فلم يزل يسأل في حتى اذن لي في الظهور فلما دخلت عليه قال قد بلغني ما قلته للنمري فاعتذرت اليه حتى قبل ثم قلت له والله يا أمير ما حمله على التكذب علي الا وقوفي على ميله الى العلويين فان اراد أمير المؤمنين ان أنشده مديحه لهم فقلت . فقال انشدني فانشدته قوله :

ساد من الناس راتع هامل　　　يعللون النفوس بالباطل

حتى بلغت الى قوله :

الا مساعير يغضبون لها　　　بسلة البيض والقنا الذابل

فغضب غضباً شديداً وقال للفضل بن الربيع احضره الساعة فبعث الفضل فوجده قد توفي فأمر بنبشه ليحرقه فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه

اقول ليت النمري جمع مع حسن دينه رزانة عقل وحسن تدبير وعاف الحماقة والخور اذ لم يكن جزاء العتابي منه في احسانه اليه بايصاله الى تلك المنزلة وتربيته في الشعر ان يستشيط بدمه ويخاطر بهلاكه على تلك الطريقة الانيقة التي هي من اقل ما يقع بين الشعراء في المفاكهة والظرافة ان صح

ذلك ،ولكن ظني ان تلك تعـلات . باطن الامر تحاسد الطرفين على حظه مما نال من القرب والمنزلة عند مـلوك زمانهم . وعلى كل حال فالنمري غير معذور عندي في تحامله على استاذه والله العالم.

وقيل ان النمري لما سعى بالعتابي الى الرشيد اغتاظ عليه فطلبه فستره جعفر البرمكي وجعل يستعطفه عليه حتى استل ما في نفسه ولمنه فقال يمدح جعفرا :

ما زات في غمرات الموت مطرحاً
قد ضاق عني فسيح السهل والجبل
ولم تزل دائماً تسعى بلطفك لي
حتى اختلست حياتي من يدي اجلي

ولنعد الى تتمة اخبار النمري ولابي الفرج هنا كلام استحسنت ايراده بجملته وبعين الفاظه اعجاباً برصافته وحسن بيانه . قال: « وكان النمري قد مدح الفضل بن يحي بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة فاوصلها العتابي اليه واسترفده له وسأله استصحابه فاذن له في القدوم عليه فحظي عنده . وعرف مذهب الرشيد في الشعر وارادته ان يصل مدحه اياه بنفي

الامامة عن ولد علي (ع) والطعن عليهم وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن ابي حفصة وتفضيله اياه على الشعراء في الجوائز فسلك مذهب مروان في ذلك ونحا نحوه ولم يصرح بالهجاء والسب كما كان يفعل مروان ولكنه حام ولم يقع واومأ ولم يحقق لانه كان يتشيع وكان مروان شديد العداوة لآل ابي طالب [ع] وكان ينطق عن نية قوية يقصد بها طلب الدنيا فلايبقي ولا يذر) انتهى ماذكره في هذ المقام. واقول ان هذا الكلام وان اعجبني رونقه وبهاؤه ولكن بمعزل عن الاصابة لواقع الامر وان ابا الفرج شكر الله سعيه ايضا اراد امرا فلم يكن ورام شيئاً فلم يتم، ورمى غرضا فلم يصيبه، كيف والنمري لم يدع لمروان مذهبا في الشعر في تفضيل بني العباس على آل علي (ع) الا اختاره ولا وادي ضلالة الا سلكه ولا لجة عمى" الا خاضها او زاد عليه فيها وكان الحرص والطمع وحب الدنيا الدنية غلب عليه حتى انساه دينه وأوهى في عرى الثبات على الايمان يقينه حتى صار يحتج لبني العباس الاحتجاجات الخبيثة الفاسدة على انهم أحق بالخلافة من

آل علي (ع) حتى انه أتى من المقال في ذلك بما أسف مروان على ألا يكون سبقه اليه، كل ذلك بنقل أبي الفرج واسانيده التي لا شبهة له فيها ولا ارتياب وانا ذاكر لك من ذلك ما تعطي النصف به من نفسك في صحة ما قلناه. قال بعد سند طويل: كان منصور النمري مصافياً للبرامكة ومسكنه الشام فكتب يسألهم ان يذكروه للرشيد فذكروه ووصفوه فأمرهم باقدامه فقدم ونزل عليهم فاخبروا الرشيد فأمرهم باحضاره وصادف دخوله اليه يوم نوبة مروان كان يقول مروان قبل قدومه هذا شامي وأنا حجازي أفتراه يكون اشعر مني؟ ودخله من ذلك ما يدخل مثله من الغم والحسد واستنشد الرشيد منصوراً فأنشده:

امير المؤمنين اليك خضنا ... غمار الهول من بلد شطير
نخوض كالاهلة خافقات ... تلين على السرى وعلى الهجير
حملن اليك احمالا ثقالا ... ومثل الصخرة الدر النثير
فقد وقف المديح بمنتهاه ... وغايته وصار الى المصير
الى من لا يشير اليه سواه ... اذا ذكر الندى كف المشير

فقال مروان والله وددت انه اخذ جائزتي وسكت. وذكر

يحيي بن عبدالله بن الحسن فقال :

يذلل من رقاب بني علي ... بمن ليس بالمرء الصغير
مننت على ابن عبدالله يحيي ... وكان من الحتوف على شفير

قال مروان فما برحت حتى أمرني هرون ان انشده وكان يتبسم في وقت ما كان ينشده النمري فأنشدته :

موسى وهارون هما اللذان ... في كتب الاخبار يوجدان
من ولد المهدي مهديان ... قدا عنانين على عنان
قد اطلق المهدي لي اماني ... وشد ازري ما به حباني
من اللجين ومن العقيان ... عيدته ساخطة الايمان
لو حايلت دجلة بالالبان ... اذاً لقيل اشتبه النهران

قال فوالله ما عاج النمري بذلك ولا احتفل فأومأ هارون ان زده فأنشدته قصيدتي التي اقول فيها :

خلوا الطريق لمعشر عاداتهم ... حطم المناكب كل يوم زحام
ارضوا بما قسم الاله لكم به ... ودعوا وراثة كل اصيدحام
أنى يكون وليس ذاك بكائن ... لبنى البنات وراثة الاعمام

وخرجت الجائزة فأعطي مروان مائة الف واعطي النمري

سبعون الفاً وقال : انت مريد في ولد علي قال وتخلص النمرى الى شيء ليس عليه فيه شيء وهو قوله :

فان شكروا فقد انعمت فيهم — وإلا فالندامة للكفور
واذ قالوا بنو بنت لحق — وردوا ما يناسب الذكور

قال فكان مروان يأسف على هذا المعنى الا يكون قد سبقه اليه والى قوله :

وما لبني بنات من تراث — مع الأعمام في رق الزبور

ثم قال في سند آخر ان هارون كان يحتمل ان يمدح بما تمدح به الانبياء فلا ينكر ذلك حتى دخل عليه رجل من ولد زهير ابن ابي سلمى فافرط في مدحه حتى قال :

« فكأنه بعد الرسول رسول » فغضب هارون ولم ينتفع به احد يومئذ وحرم الشاعر فلم يعطه شيئاً . وأنشده النمري قصيدة مدحه بها وهجا آل علي وثلبهم فضجر هارون وقال له يابن اللخناء أتظن انك تتقرب الي بهجاء قوم ابوهم أبي ونسبهم نسبي واصلهم وفرعهم اصلي وفرعي فقال : وماشهدنا إلا بما علمنــا فازداد غضبه وأمر مسروراً فوجأ في عنقه واخرج ثم وصل اليه بعد ذلك فأنشده :

بني حسن ورهط بني حسين عليكم بالسداد من الامور
فقد ذقتم قراع بني ابيكم غداة الروع بالبيض الذكور
احين شفوكم من كل وتر وضموكم الى كنف وثير
وحادتكم على ظمأ شديد سقيتم من نوالهم الغدير
فما كان العقوق لهم جزاء بفعلهم وادى للثؤر
وانك حين تبلغهم اذاه وان ظلموا لمحزون الضمير

فقال له : صدقت والا فعلي وعلي وامر له بثلاثين الف درهم انتهى ما اوردنا نقله شاهداً لما كنا فيه وليت شعري ما معنى قوله مع هذا انه لم يصرح بالهجاء كما كان يفعل مروان وهذه الاخبار هو حاملها وناقلها وبمرأى منه ومسمع . وهل يجد القائل المتكلف والعدو المتحامل على آل علي [ع] مجالا للطعن اكثر من هذا وهل بلغ مروان اعظم من ذلك المبلغ وما ظنك بهجاء هارون الغوي الذي يود شرب دماء آل ابي طالب يضج ويضجر منه ويرق على اعدائه له . ولكن الرجل (ولا تحسبه سوى النمري) كما عرفت فيما نبهنا عليه في اخبار العتابي قد غلب الخور على عود يقينه واستولى سقم الطمع والحرص على صحة دينه وفي ذلك كله من خطل في

رأيه وخلل في تدبره وضعف في عقله والا فقد كان في اوسع مندوحة عن التعرض للتجاسر على تلك العترة الطاهرة التي يزعم انه يدين الله بولائهم وإمامتهم اذ التقرب الى ذلك السلطان الشقي هارون الغوي لم يكن منحصرا الا بذلك المسلك الخبيث ولا محوجاً الى تلك التملقات الباردة . . . والاحتجاجات الفاسدة الكاسدة فهذا استاذه العتابي قد نال المنزلة عند سلطانه بلا تعرض لأئمة زمانه فهلا اقتدى به وهو صنيعة عينه وصناعة يده او فهلا كان كشركائه في الدين والصناعة من شعراء الشيعة ممن سبقه كالسيد الحميري والكميت رضوان الله عليهم حيث سلوا اسنة السنتهم على ملوك زمانهم وهم في بحبوحة شوكتهم وقوة سلطانهم فان الكميت [رض] لم يدع لبني امية ومن قبلهم مثلبة ولا منقبة ولا ظلامة في الدين الا نظمها في شعره الذي كانت تغني الركبان به حتى وقع ماوقع عليه من المحنة والبلاء ولم يرض لنفسه ان يمدحهم او يمتدحهم او يتوصل الى صلاتهم او يستجيز جوائزهم او يدفع الهلكة والمحنة عن نفسه واهليه بالتعرض لهم حتى استأذن الباقر (ع) فاذن له فمدحهم مدح

متثاقل متكاسل لم يتعرض فيه لذكر خلافة ولا إمرة . وهكذا معاصر النمري العبد الصالح السعيد دعبل الخزاعي (رض) فانه افرط وبالغ في هجاء اساطين ملوك بني العباس كالرشيد والامين والمأمون والمعتصم وقال فيهم من الهجاءات المقذعة ما لا يتحمله اوباش العرب واذناب الناس كل ذلك الاقدام من هذين الرجلين الفحلين نصرة للحق ومحاماة للدين وترويجا لامر الأئمة الطاهرين (ع) لم يدنس ذلك منهم طمع ولم يشبه غرض حتى عرضوا - فدى لهم نفسي - نفوسهم للهلكة واموالهم للغارة وذراريهم للبلاء والمحنة حتى ان دعبل قال اني احمل خشبتي على ظهري اربعين سنة فلم أجد من يصلبني عليها . والحق ان ابقاءهم الى حين آجالهم من خوارق العادات واعظم المعجزات . او هلا كان كعبد السلام ديك الجن وهو في عصره وقريبا منه مصره حيث لازم بيته بحمص ولم يمدح ملكا ولا خليفة وقصر ما عدى الغزل من شعره الخسرواني ووشيه الكسرواني على المدائح والمراثي للأئمة الطاهرين ولم يتعرض للخلفاء بمدح او قدح ولا ازدهته دنياهم واموالهم ولا خفت بركين جأشه زينتهم واثقالهم

ولو رام ذلك منهم لكان له النصيب الأوفى والقدح الاصفى.
وليت النمري اذا لم يكن له جناح عزم يطير به الى شأو هذه المراتب العالية ولم يكن كهذا ولا ذاك كان كامامي الادب ومخرمي شقائق العرب ابي تمام وابي عبادة الطائيين فقد كانت لهم المنزلة الرفيعة عند الملوك والخلفاء وامراء الجور واكثروا غاية الاكثار من مدائحهم ومنائحهم وصحبتهم ولكن على صحة من دينهم وسلامة من يقينهم حتى قيل ان الاول كان من خواص الجواد ابي جعفر عليه السلام.
ولكن ما اظن احداً من اهل هذه الصناعة الخسيسة الردية نال الدرجات الرفيعة والسعادة الابدية بصناعته سوى ثلاثة في جميع عمرهم وواحد في ساعة واحدة ، اما الواحد فهو الفرزدق في قصته مع هشام فان المتأمل في خصوصياتهم يقضي منها عجباً، واما الثلاثة فهم الكميت والحميري والخزاعي رضوان الله عليهم فان لهؤلاء مرتبة الشهداء والصديقين المستشهدين بين يدي الائمة الطاهرين فقد عرضوا لذلك نفوسهم غير مرة واحدة ولكن الله غالب على امره. وبالجملة فلا ارى تلك الابيات وامثالها من النمري سوى زلة غير

مغفورة له في مذهب الصدق والولاء. وان غفرت في شريعة الشعر والشعراء ولكن للرجل مدائح ومراث كثيرة في اهل بيت الرحمة فلعلها تكون كفارة لتلك السيئة فان الحسنات يذهبن السيئات. وعلى كل حال فالرجل مأجور بحب الآل فنسأل الله ان يتولاه بنيته ويتجاوز عن زلاتنا وزلته ولقد كانت في النفس اشياء كثيرة احببنا ههنا ايرادها ثم قصرنا عنها اذيال المقال خيفة الملال ولكن لعلك مع هذا تفوق الي سهام الملام على اطالة الكلام في هذا المقام والاطناب بما هو خارج عن وضع هذا الكتاب فلنمهد لك ما يكون لنا عذراً لديك في جميع ماهو من هذا القبيل مما يرد منا عليك وذلك اما من المعلوم ان الخوض في الشعر والاكثار من مراجعته ومزاولته سيئة ان لم تكن محرمة في علوم المعاملات فهي كبيرة موبقة عند اهل القلوب وارباب المكاشفات وفي كراهته الظاهرية بلسان الشارع المقدس اشارة الى ذلك ولكن لبعض النفوس في فطرتها نزوع اليه وابتهاج به ووله اليه بحيث لا تجد الصبر عنه ولا الوقوف دونه ولا القناعة عنه بغيره اردنا ان يكون تحقيق الحق والمحاماة عنه ودفع

الباطل والتحامل عليه وابداء النصيحة والتذبيه على موضع العظه والايقاف لدى محط العبرة وما اشبه ذلك كل في محله كفارة لتلك الخطيئة ودفعا لمفسدة تلك السيئة فان صح عندك قول هذا العذر فهو والا فقل ماشئت فاني اقول للمطلع على السرائر :

فياليت ما بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

فلنعد الى تتمة احوال النمري فمن شعره في الرشيد قصيدته العينية التي منها البيت السابق واولها :

ماتنقضي حسرة مني ولا جزع اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتني بلذته صروف دهر وايام لها جذع
ما كنت اوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

الى ان قال في مدح هارون :

اي امرء بات من هارون في سخط فليس بالصلوات الخمس ينتفع
ان المكارم والمعروف اودية احلك الله منها حيث تجتمع
اذا رفعت امرءاً فالله يرفعه ومن وضعت من الاقوام متضع
نفسي فداؤك والابطال معلمة يوم الوغى والمنايا بينها فزع

قال أبو الفرج ان هذه الأبيات انشدها محمد الراوية المعروف بالبيذق لقصره وكان ينشد هارون أشعار المحدثين وكان أحسن خلق الله انشاداً وكان انشاده يطرب كما يطرب الغناء وكان بين يدي الرشيد خوان لطيف عليه جرمان ورغفان سميد ودجاجتان فلما سمع تلك الابيات رماه من يده وصاح والله هذا ألطف من كل طعام وبعث اليه بسبعة آلاف دينار فلم يعطني منها ما يرضيني وشخص الى رأس عين فاغضبني فانشدت الرشيد قوله « ساد من الناس..الخ » حتى انتهيت الى قوله :

« الا مسامير يغضبون لها » الخ قال اراه يحرض علي ابعثوا الي من يجيء برأسه فبعثوا فوجدوه قد مات .

وقال في مقام آخر حدث بعض الزينبيين قال : حبس هرون منصوراً بسبب الرفض فتخلصه الفضل بن الربيع ثم بلغه شعره في آل علي عليه السلام فقـال للفضل اطلبه فستره الفضل عنده وجعل الرشيد يلح في طلبه حتى قال له يوماً ويحك يا فضل تفوتني النمري فقال ياسيدي هو عندي قد حصلته قال فجئني به وكان الفضل امره ان يطول شعره

ويكثر مباشرة الشمس ليشحب وتسوء حالته ولما ادخله ألبسه فروة مقلوبة وقد ساءت حاله وعفا شعره فلما رآه قال السيف فقال الفضل ياسيدي من هذا الكلب حتى تأمر بقتله بحضرتك قال أليس هو القائل (الا مساعير يغضبون لها)فقال منصور لا يا سيدي ما أنا قائل هذا ولقد كذب علي ولكني القائل :

يا منزل الحي ذا المغاني أنعم صباحاً على بلاكا
هارون يا خير من يرجى لم يطع الله من عصاكا
في خير دين وخير دنيا من اتقى الله واتقاكا

فأمر باطلاقه وتخلية سبيله . وقال هارون للنمري في حرب الروم كيف رأيت فرسي فاني انكرته فقال النمري :

مصر على فاس اللجام كأنه اذاما اشتكت ايدي الجياد يطير
اطل على الصفصاف يوم تباشرت ضباع وذؤبان به ونسور
فاقسم لاينسى لك الله اجرها اذا قسمت بين العباد اجور

قال النمري فقلت ما يمنعني من اذكاره بالجائزة فقلت :

اذا الغيث اكدى واقشعرت نجومه
فغيث أمير المؤمنين مطير
وما حل هارون الخليفة بلدة فاخلفها غيث فكاد يضير

فقال اذ كرتني وأمر لي بمائة الف درهم . قال حدث علقمة بن نصر النمري قال سمعت اشياخنا يقولون ان منصور بن بجرة بن اشيم بن قطن بن سعد بن عامر الضحيان . الخ . . قال هذه القصيدة :

ما تنقضي حرقة مني ولا جزع
اذا ذكرت شباباً ليس يرتجع (الابيات)

وكان منصور هذا موسراً لا يتصدى لمدح ولا يفدالى أحد ولا ينتجع بالشعر وكان هارون جرد السيف في ربيعة فسمع الابيات منصور بن سلمة بن مطعم الكبش الرخم بن مالك بن سعد بن عامر الضحيان فاستحسنها واستوهبها منه فوهبها له فوجه بها إلى الرشيد وكان رجلا تقتحمه العين جداً ويزدريه من رآه لدمامة خلقه فلما سمعها الرشيد استحسنها وأمر باحضار قائلها فلما احضر منعه الحاجب الفضل بن الربيع لدمامته وكان قصيراً أزرق احمر أعمش نحيفاً فرده وأمر باخراجه فمر به مزيد بن يزيد الشيباني فصاح به يا أبا خالد أنا رجل من عشيرتك وقد لحقني ضيم وقد عذت بك فوقف وعرفته خبري وسألته أن يتلطف في ايصالي ففعل .

قال منصور فلما دخلت على الخليفة أنشدته هذه القصيدة:

(أتسلو وقد بان الشباب المزايل) فقال غداً آمر برفع السيف عن ربيعة فما جاءت العصر من الغد حتى أمر برفع السيف عن ربيعة بنصيبين وما والاها ولما صرت الى هذا الموضع من القصيدة :

يجرد فينا السيف من بين مارق وعان بخود كلهم متحامل

قال الجلساء ذهب الاعرابي وافتضح فلما قلت :

وقد علم العدوان والجور والخنا بأنك عياف لهن مزايـــل

ولو علموا فينا بأمرك لم يكن ينال بريا بالاذى متناول

لنا منك ارحام ونعتد طاعة وبأساً اذا اصطك القنا والقنابل

وما يحفظ الاحسان مثلك حافظ

ولا يصل الارحام مثلك واصل

جعلناك ـ فامنعنا ـ معاذا ومفزعاً

لنا حين عضتنا الخطوب الجلائل

وانت اذا عاذت بوجهك عوذ تطامن خوف واستقرت بلابل

وحدث الاخفش عن المبرد قال كتب كلثوم بن عمر العتابي الى النمري قوله :

تقضت لبانات ولاح مشيب وأشفى على شمس النهار غروب
وودعت اخوان الصبا وتفرقت غواية قلب كان وهو طروب
خلا بين ندماني موضع مجلسي ولم يبق عندي للمزاح نصيب
وردت على الساقي تفيض وربما رددت عليه الكأس وهو سليب
ومما يهيج الشوق لي فيرده
حفيف على ايدي القيان صخوب
عطون به حتى جرى في أديمه اصابيع في لباتهن وطيب

فأجابه النمري :

اوحشة ندمانيك تبكي فربما تلاقيها والحكم عنك غروب
ترى خلفاً عن كل نيل وثروة سماع قيان عودهن ضريب
وان امرءاً أودى السماع بلبه لعريان من ثوب الفلاح سليب

ومدح يزيد بن مزيد الشيباني فقال :

لو لم يكن لبني شيبان من حسب
سوى يزيد لفاتوا الناس بالحسب
تأوي المكارم من بكر الى ملك
من آل شيبان يحويهن من كثب

أب وعم واخوان مناصبهم
في منبت اليمع لا في منبت الغرب
ان ابا خالد لما جرى وجرت
خيل الندى احرز الاولى من القصب
ضرباً دراكاً وشدات على عنق كأن ايقاعها النيران في الحطب
لا تقربن يزيداً عند صولته لكن اذا ما احتبى للجود فاقترب

وقال النمري دخلت على هارون ولم اكن أعددت له مدحاً فوجدته نشيطاً طيب النفس فرمت شيئاً فلم يجيء ونظر اليه مستنطقاً فقلت :

اذا اعتاص المديح عليك فامدح
امير المؤمنين تجد مقالا
وعذ بفنائه واجنح اليه تنل عرفاً ولم تذل سؤالا
فناء لا تزال به ركاب وضعن مدائحاً وحملن مالا

فقال والله لئن قصرت القول لقد أطلت المعنى وأمر له بصلة سنية .

ومن شعره فيه ايضاً :

يا زائرينا من الخيام حياكما الله بالسلام

يحزنني أن اطمئناني ولم تنالا سوى الكلام
بورك هارون من امام بطاعة الله ذي اعتصام
له الى ذي الجلال قربى ليست لعدل ولا امام

اخبار ديك الجن

لقب غلب عليه واسمه عبدالسلام وكان جده تميم من أنعم الله عليه بالاسلام من اهل مؤته على يدي حبيب بن مسلمة الفهري وكان شديد التشعب والعصبية على العرب يقول ما للعرب علينا فضل جمعتنا واياهم ولادة ابراهيم وأسلمنا كما أسلموا ومن قتل منهم رجال منا قتلنا مثله ولم نجد الله فضلهم علينا اذ جمعنا الدين . وهو شاعر مجيد يذهب مذهب أبي تمام والشاميين في شعره ، من شعراء الدولة العباسية وكان من ساكني حمص ولم يبرح نواحي الشام ولا وفد الى العراق ولا الى غيره منتجعاً بشعره ولا متصدياً لأحد وكان يتشيع تشيعاً حسناً وله مراث كثيرة في الحسين بن علي عليهما السلام منها قوله :

يا عين لا للقضا ولا الكتب بكا الرزايا سوى بكا الطرب

وهي مشهورة عند الخاص والعام ويناح بها وله عدة اشعار في هذا المعنى . وكانت له جارية يهواها فاتهمها بغلام له فقتلها واستنفذ شعره بعد ذلك في مراثيها . قال وكانت نصرانية من أهل حمص هويها وتمادى الامر به حتى غلب عليه فلما اشتهر بها دعاها الى الاسلام ليتزوجها فأجابته وأسلمت على يده فتزوجها وكان اسمها (ورد) ففي ذلك يقول :

انظر الى شمس القصور وبدرها   والى خزاماها وبهجة زهرها
لم تبل عينك أبيضاً في اسود   جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها   من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت وضحكت من اردافها   عجباً ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كاس مدامة من كفها   وردية ومدامة من ثغرها

وكان قد اعسر واختلت حاله فرحل الى سلمية قاصداً أحمد بن علي الهاشمي فأقام عنده مدة طويلة فاشاع ابن عم له يبغضه ان امرأته التي تزوجها تهوى غلاماً له وشاع الخبر حتى بلغ عبد السلام فاستأذن الهاشمي في الرجوع بقصيدة طويلة أولها :

ان ريب الزمان طال انتكاثه   كم رمتني بحادث احداثه

ومنها :

ظبي انس قلبي مقيل ضحاه   وفؤادي بريره وكباثه

ومنها :

خيفة ان يخون عهدي وان   يضحي لغيري حجوله ورعاثه

ورجع الى حمص وكان ابن عمه ارصد قوما يعنفون عبدالسلام على تمسكه بهذه المرأة بعد ما شاع ذكرها بالفساد ويشيرون عليه بطلاقها ودس رجلا قال له : اذا دخل عبدالسلام داره فقف على الباب كأنك لا تعلم بقدومه وناد باسم المرأة فلما دخل منزله والقى ثيابه سألها عن الخبر واغلظ عليها فاجابته جواب من لم يعرف شيئاً من تلك القصة فبينما هو كذلك اذ قرع الرجل الباب وناداها باسمها وقال انا فلان فقال لها عبدالسلام يازانيه زعمت انك لا تعرفين من هذا الامر شيئاً ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها وقال في ذلك:

ليتني لم اكن لعطفك نلت   والى ذلك الوصال وصلت

فالذي مني اشتملت عليه   العار ماقد عليه اشتملت

قال ذو الجهل قد حلمت ولا   اعلم انى حلمت حتى جهلت

لائم لي بجهله ولماذا   انا وحدي احببت ثم قتلت

سوف آسي طول الحياة وابكيك على ما فعلت لا ما فعلت

وقال :

لك نفس مواتية والمنايا معادية
ايها القلب لا تعد لهوى البيض ثانية
ليس برق يكون اخلب من برق غانية
خنت سري ولم اخنك فموتي علانية

وقوله :

يا طلعة طلع الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما روي الهوى شفتي من شفتيها
قد بات سيفي في مجال وشاحها ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطىء الحصا شيء اعز علي من نعليها
ما كان قتلتها لاني لم اكن ابكي اذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها وانفت من نظر الحسود اليها

وذكر ابو الفرج هنا ان هذه الابيات تروي لغير ديك الجن وذكر قصة حاصلها ان رجلا من غطفان يقال له السليك ابن مجمع كان من الفرسان وكان مطلوبا في القبائل بدماء قوم قتلهم فتزوج ابنة عم له يهواها وبعد ان دخل بها في

دار ابيها نقلها الى عشيرته فلقيه من فزارة ثلاثون فارساً كلهم يطلبه بدم فقتل منهم عدداً واثخن بالجراح اخرين واثخن هو حتى ايقن بالموت فعاد اليها وقال ما اسمح بك نفسا لهولاء واني احب ان اقدمك قبلي قالت افعل ولو لم تفعل انت لفعلته انا بعدك فضربها بسيفه حتى قتلها وانشأ يقول :

(يا طلعة طلع الحمام عليها) الابيات

ثم تمرغ في دمها وتخضب به ثم تقدم فقاتل حتى قتل ودفنه قومه مع ابنة عمه اقول ولكن الابيات المتقدمة الى شعر ديك الجن اقرب، وهي باسلوبه الصق وأنسب كما تشهد بذلك بقية مراثيه مثل قوله :

اشفقت ان يرد الزمان بغدره	او ابتلي بعد الوصال بهجره
قمر أنا استخرجته من دجنة	ابليتي وجلوته من خدره
فقتلته وبه علي كرامة	ملء الحشا وله الفؤاد باسره
عهدي به ميتاً كأحسن نائم	والحسن يسفح عبرتي في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده	فى الحي حل نكاله في قبره
غصص تكاد تفيظ منها نفسه	وتكاد تخرج قلبه من صدره

وقوله :

اسا كن حفرة وقرار لحد   مفارق خلة من بعد عهد
اجبني ان قدرت على جوابي   بحق الود كيف ظللت بعدي
اما والله لو عاينت وجدي   اذا استعبرت في الظلمات وحدي
اذاً لعلمت اني عن قريب   ستحفر حفري ويشق لحدي
ويعذلني السفيه على بكائي   كأني مبتلي بالحزن وحدي
يقول قتلتها سفها وجهلا   وتبكيها بكاء ليس يجدي
كصياد الطيور له انتحاب   عليها وهو يذبحها بحد

وكان يهوى غلاما من اهل حمص يقال له بكر فجلسا يتحدثان ليلة الى ان غاب القمر فقال :

دع البدر فليغرب فانت لنا بدر
اذا ما تجلى من محاسنك الفجر
اذاما انقضى سحر الذين ببابل   فطرفك لي سحر وريقك لي خمر
ولو قيل لي قم فادع احسن من ترى
لصحت باعلى الصوت يا بكر يا بكر

وكان هذا الغلام يعرف ببكر بن دهمرد ، قال وكان شديد التمنع والتصون فاحتال قوم من اهل حمص فاخرجوه الى

منتزه لهم يعرف بمياس فاسكروه وفسقوا به وبلغ ديك الجن فقال :

قل لهضيم الـكشح مياس انتقض العهد من الناس
ياطلعة الآس التي لم تعد الا اذلت قضب الآس
وثقت بالـكاس وشرابها وحيف امثالك بالـكأس
تقطع انفاسك في اسرهم وملـكهم قطـع انفاسي
لابأس مولاي على انها نهاية المـكروه والباسي
هي الليالي ولها دولة ووحشة من بعد ايناس
بينا انا افت وعلت بالفتى اذ قيل حطته على الراس
فاله ودع عنك احاديثهم سيصبح الذاكر كالناسي

وقال فيه أيضاً :

قولا لبكر بن دهرد اذا اعتكرت
عساكر الليـل بين الطاس والجام
ألم أقل لك ان البغي مهلـكة والبغي والعجب افساد لأقوام
قد كنت تفزع من لمس ومن قبل
وقـد ذللت لاسراج والجـام
ان تدم نخذاك من ركض فربتما
أمسي وقلبي عليك الموجم الدامي

ومن جيد شعره قوله من قصيدة طويلة يرثي بها جعفر بن علي الهاشمي :

على هذه كانت تدور النوائب وفي كل جمع للذهاب مذاهب
نزلنا على حكم الزمان وامره وهل يقبل النصف الاله المشاغب
ويضحك سن المرء والقلب موجع
ويرضى الفتى عن دهره وهو عاتب
ألا أيها الركبان والردواجب قفوا حدثونا ماتقول النوادب
الى أي فتيان الندى قصد الردى
وأيهم نابت حماة النوائب
فيا لأبي العباس ان منا كبا تنوء بما قد حملتها النواكب
فيا قبره جد كل قبر بجوده ففيك سماء ثرة وسحائب
أخا كنت ابكيه دما وهو نائم
حذارا وتعمى مقلتي وهو غارب
فما أنا في صبر عن الاجر واقف
واني في عمر الى الله راغب
أأسعى لأحظى فيك بالاجر انه
لسعي اذاً مني لدى الله خائب

وما الاثم إلا الصبر عنك وانما عواقب حمد ان تذم العواقب

يقولون مقدار على المرء واجب فقلت واعوال على المرء واجب

فتى كان مثل السيف من حيث جئته

لنائبــة تأتيك فهو مضـــارب

فتى همه حمد على الدهر رابح وان غاب عنه ماله فهو غارب

شمائل ان يشهد فهن مشاهد عظام وان يرحل فهن كتائب

بكاك أخ لم تحوه بقرابة بلى ان اخوان الصفاء اقارب

وأظلمت الدنيا التى كنت جارها

كأنك للدنيـــا أخ ومناسب

وسمع اهل حمص خطيبهم على المنبر يصلي على النبي ثلاث مرات وكانوا كلهم من اليمن لم يكن فيهم من مضر الا ثلاثة فتعصبوا عليه وعزلوه فقال ديك الجن :

سمعوا الصلاة على النبي توالى فتفرقوا شيعاً وقالوا لا لا

ثم استمر على الصلاة خطيبهم فتحزبوا ورمى الرجال رجالا

يا اهل حمص توقعوا من بعدها خزياً يحل عليكم ووبالا

شاهت وجوهكم وجوها طالما رغمت معاطسها وساءت حالا

الى المشارك الكريم

هذه هي السنة الاولى من عمر هذه السلسلة قد اشرفت على الانتهاء ونحن اذ نشكر الله على ما وفقنا اليه من استمرار في السير الذي نرجو ان يكون في تقدم مطرد لابد لنا من تكرير الشكر للقارىء الكريم الذي لمسنا منه كل تشجيع واقبال . ولابد لنا هنا من تذكير فريق من المشتركين الذين تأخروا حتى الآن عن تسديد بدلات الاشتراك ـ لابد لنا هنا من تذكيرهم بذلك ليعينونا على الاستمرار في السير في هذا الطريق . واهم بعدها علينا ان لا ندخر وسعا فى التقدم في هذه السلسلة . . . التقدم بجميع النواحي المستطاعة .

هذا ونعتقد بأنا فى غنى عن توجيه نداء اخر في هذا الشأن .

ملحوظة :

يرسل بدل الاشتراك حوالة بريدية او عن أي طريق آخر مضمون الوصول بالعنوان التالي :

العراق ـ الكاظمية

عبدالامير السبيتي

حديث الشهر

سلسلة تربط بين الماضي والحاضر وتمزج بين القديم والحديث .

• كتب شهرية تعالج شتى المواضيع بأقلام حرة تمثل الأدب الرفيع والرأي المجرد الحر .

يصدرها

عبد الأمير السبيتي

باشراف

جماعة من أعلام المفكرين

الثمن : ٨٠ فلساً فى العراق

١٠٠ « أو مايعادلها فى الخارج

جميع المراجعات مع

عبد الأمير السبيتي - الكاظمية

مطبعة النجاح —